مفهوم التفسير البياني وتطبيقاته

شيماء علي محمود أ. م. د. محمد حسن مصطفى

جامعة الموصل / كلية التربية الأساسية / قسم التربية الاسلامية

(قدم للنشر في ٢٠١٨/٧/٣٠ ، قبل للنشر في ٢٠١٨/٩/١٩)

ملخص البحث:

إن مفهوم التفسير البياني للقرآن الكريم مفهوم قديم – جديد . فقد نشأ هذا المفهوم من التفسير المعتمد على اللغة بشكل عام والبيان بشكل خاص مع بداية نزول الوحي على النبي الكريم وتلاوة أولى آيات الذكر الحكيم، حين كان الصحابة والمسلمون يستفسرون النبي (صلى الله عليه وسلم) عن بعض معاني آيات القرآن الكريم وكلماته. إلا أنه حينذاك لم يكن يتعدّى الإشارات اللغوية البسيطة واللمحات البيانية العامة، لكنه سرعان ما بدأ بالتطور والتدرج في النشوء والتكامل نظرياً وتطبيقياً عبر أطوار متعددة مثلتها جهود العلماء المسلمين من اللغويين والمتكلمين حتى انتهى به الأمر في عصرنا الحاضر إلى منهج متكامل له ضوابطه ومعالمه الخاصة.

The concept of interpretation and its applications

Abstract:

The concept of interpretation of the Holy Quran is a new and also an old concept. This concept originated from the explanation based on the language in general and Rhetorical in particular with the beginning of the revelation of the Holy Prophet and reciting the first verses of the Holy Quran , when the companions and Muslims asked the Prophet (peace be upon him) about some meanings of the verses of the Koran and its words. At that time, however, it did not go beyond simple language references and general Linguistic overviews, but it soon began to evolve and gradual development and integration are theoretically and applied across multiple phases such as the efforts of Muslim scholars of linguistscs and speakers until it ended in our time to an integrated approach which has its own Controls and features.

مفهوم التفسير البياني:

يُعَدُ علمُ التفسير من أكثرِ العلومِ التي حظيت باهتمامِ العلماءِ المسلمين قديماً وحديثاً. فهو العلمُ الذي ((يُعرفُ بِهِ فَهمُ كتابِ اللهِ المنزَّلِ على نَبيِّهِ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وبيانُ مَعَانِيهِ واستخراجِ أحكامِهِ وحِكَمِه))[١]. وقد استمدَ علمُ التفسير أَهميتَهُ وعِظَمَ منزلَتِهِ من أَهميةِ وعِظَمِ الكتابِ الذي تَعَهَّدَهُ تفسيراً وبياناً. والقرآن الكريم هو دستورُ المسلمين وهو كِتابُ المعجزَةِ البيانيةِ الخالِدة، الذي هَدَى الإنسانيةَ جمعاءَ لِمَا فيهِ الخير والصلاح في الحالِ والمآل.

لذا تتابعت جهودُ العلماءِ المسلمين وتضافرت منذُ البعثةِ النبويةِ وحتى عصرنا الحاضر لتفسير كتابِ اللهِ الكريم والكشفِ عن المعجزةِ البيانيةِ الخالِدة التي عجزَ العربُ من أهلِ الفصاحةِ والبيان عن معارضتِها أو الإتيانِ بما يماثلها فصاحةً وبياناً.

غيرَ أنَّ هذهِ الجهود التفسيرية لم تَكُنْ تسلُك بِمُجمَلِها اتجاهاً واحداً، وإنَّما تعددت اتجاهاتُها بتعدد الأَهداف التي يسعى إليها أَصحابها من المفسرين. فمنها ما نحا منحىً فقهياً أو لغوياً أو مذهبياً أو غير ذلك[٢]. والذي يعنينا من هذه الاتجاهات هو الاتجاه اللغوي في التفسير.

فالتفسير البياني هو تفسيرٌ ذو اتجاه لغوي عامّة، بلاغي خاصة[٣]. إذ ((يهدف إلى فهم إعجاز القرآن وإيضاح نواحيه البلاغية بعيداً عن شطط التأويل والأَقاويل، كما يستهدف تذوق أسرار البيان بالنظر الدقيق لمدلولات أَلفاظ القرآن، وعلى أَساس التدبر الشامل للنظم القرآني الذي تلمح من خلاله المعجزة البيانية الخالدة))[٤].

وإعجاز القرآن حقيقةٌ قاطعةٌ، وبديهةٌ مقررةٌ، وهو وسيلةٌ إلى هدَفٍ عظيم وغايةٍ سامية[٥]، تتمثَّلُ في ((إثباتِ مصدر القرآن الرَّباني، وأَنه كلامُ الله سبحانه وتعالى، وليس كلامَ محمد صلى الله عليه وسلم، والإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، بعثهُ الله رسولاً للعالمين))[٦].

وقد شغلت قضيةُ إعجازِ القرآن العلماءَ المسلمينَ منذُ عهدٍ مبكر، وتعددت أَقوالهم في وجوهِ إعجازِه، تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن في معرض حديثها عن هذهِ القضية: ((ومن قديم فرضت قضيةُ الإعجاز نفسها على السلفِ من علماءِ المسلمين على اختلافِ مذاهبهم وتعددت أَقوالهم في وجوه الإعجاز. وأَيّاً ما قالوا فيها، فالذي لا ريب فيه هو أَنَّ إعجازه البلاغي لم يكن قط موضع جدل أَو خلاف، وإنَّما كان الجدل بين

الفرق الإسلامية، في اعتباره الوجهَ في الإعجاز أو القول معه بوجوه أُخرى))[٧].

على أنَّ من الواجب التنبه هنا إلى أنَّ جزم الدكتورة عائشة عبد الرحمن بإجماع العلماء على القول بوجه إعجاز القرآن البلاغي فيه من المبالغة ما لا يخفى، إذ إنَّ من العلماء من كان وجه الرأي عنده في إعجاز القرآن هو القول بالصرفة دون غيرها من الوجوه الأخرى[٨].

إذاً فالإعجاز البلاغي، هو الوجه الذي ذهبَ إليهِ ((الأَكثرون من علماءِ أَهل النظر))[٩]. فهو الرأي الراجح للعلماء في قضية الإعجاز. وهذا الرأي هو الذي نقل القضية إلى ميدان البحث البلاغي. فأصبح بذلك ((فقه العربيةِ لغةً وبياناً، هو أداة النظر في الإعجاز))[١٠].

يتضح مما تقدم أن التفسير البياني للقرآن قد سخَّرَ اللغة بأدواتها كلّها لخدمةِ إعجاز القرآن الكريم.

إنَّ معالم التفسير البياني للقرآن الكريم قد ظهرت منذ عهد مبكر في كتب الأقدمين، وسرعان ما بدأت تلك المعالم بالتقدم والتطور عبر الزمن، حتى برزت بوصفها منهجاً مستقلاً في التفسير عند المحدثين والمعاصرين من العلماء والباحثين. وقد توزعت تلك المعالم بين كتب الإعجاز والتفسير فضلاً عن كتب البلاغة والنقد والأدب. لقد مرَّ التفسير البياني عبر مسيرته التاريخية تلك بأطوار متعددة مثَّلتها جهود العلماء والباحثين في هذا الميدان من التفسير. وسنتتبع في دراستنا هذه الأطوار التي مرَّ بها التفسير البياني عبر مسيرته التاريخية مشيرين في ذلك إلى تطور فكرة التفسير البياني – مفهوماً وتطبيقاً – لدى علمائنا المسلمين.

أطوار التفسير البياني:

يمكن إجمال الأطوار التي مرَّ بها التفسير البياني بما يأتي:

أولاً: طور الإشارات اللغوية

لن نكون مجانبين للصواب في شيء إذا قلنا إن جذور التفسير البياني للقرآن الكريم قد امتدت لتشمل عصر نزول القرآن الكريم[١١]. فقد ورد عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) تفسيره لآيات من القرآن الكريم تفسيراً يقوم على أساس التأويل اللغوي للنص القرآني[١٢]. من ذلك على سبيل المثال ما أورده ابن جرير الطبري (ت٣١٠ه) من تفسير الرسول (صلى الله عليه وسلم) لآيتي [الأنعام:٨٢ والواقعة:٨٢]. ففي قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ**﴾ [الأنعام:٨٢]، فسَّرَ(عليه الصلاة والسلام) الظلم بالشرك[١٣]. وفي قوله تعالى: ﴿**وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ**﴾ **[الواقعة:٨٢]،**

فسَّرَ الرزقَ بالشكر[١٤]. فكلا التفسيرين قائم على أساس التأويل اللغوي وداخل في باب المجاز.

ولم يتخلَّف الصحابة ولا التابعون (رضي الله عنهم) عن نهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تفسير القرآن الكريم، إذ حفظت كتب العلماء جملةً صالحةً من التفسير اللغوي لعهدهم. ولعل أكثر من اشتهر من الصحابة بهذا النهج من التفسير للقرآن الكريم عبد الله بن عباس (ت ٦٨ه). فمن تفسيره – على سبيل المثال – ما أورده صاحب الإتقان من تفسير له في آية سورة البقرة: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة:٢٦٦]، فقد فسَّرَها تفسيراً بلاغياً يدخلُ ضمن ما عُرِفَ عند البلاغيين فيما بعد باسم الاستعارة التمثيلية، إذ قال في تفسيرها: ((ضُرِبَتْ مَثلاً لِعَملٍ. . . . لِرجل يعمل لطاعة الله ثُمَّ بَعَثَ لهُ الشيطانُ فَعَمِلَ بالمَعَاصِي حتّى أغرَقَ أعمَالَهُ))[١٥].

إن اعتماد ابن عباس للمنهج اللغوي في تفسير القرآن الكريم قد بدا واضحاً جلياً في إجاباته عن مسائل نافع بن الأزرق التي أوردتها كتب العلماء[١٦].

ولم يكن ابن عباس من أواخر الذين حفلت تأويلاتهم لنصوص القرآن الكريم بإشارات لغوية، فالذين جاؤوا بعده ممن كتبوا في تفسير القرآن الكريم – حتى منتصف القرن الثالث للهجرة – قد حفلت مؤلفاتهم بإشاراتٍ لغويةٍ وبيانيةٍ في تفسير القرآن الكريم. فمحاولة أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠ه) في كتابه مجاز القرآن مثلاً، تُعَدُّ إحدى المحاولات التفسيرية التي قامت على أساس التأويل اللغوي لنصوص القرآن الكريم. كما يمكن القول إنها أولى المحاولات التفسيرية التي وضعت العلوم اللغوية في خدمةِ النص القرآني[١٧]. فقد أدرك أبو عبيدة أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وأنَّه جرى على أساليب العرب وطرقهم في الكلام، وأنَّ الطريق إلى فهمه لن يكون إلاّ بمعرفة تلك الأساليب والطرق التي يُؤدَّى بها الكلام العربي[١٨]. لذلك كثيراً ما نجده يستشهد على الآيات القرآنية بالشعر العربي[١٩]، مبيناً أنَّ أسلوب القرآن الكريم قد جاء موافقاً لما جرت عليه أساليب العرب في كلامها. يقول أبو عبيدة: ((ففي القرآن ما في الكلام العربيّ من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختُصِر، ومجاز ما حُذف، ومجاز ما كُفَّ عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين. . . . وكل هذا جائز قد تكلموا به))[٢٠].

يتبين مما تقدم أنَ أبا عبيدة لم يكن يعني بكلمة (المجاز) – التي وَسَمَ بها كتابه – ما يقابل الحقيقة، وإنَّما عنى بها ((التفسير أو الشرح أو الطريق إلى فهم الأسلوب البياني أو اللفظ أو التركيب أو وجوه النحو على طريقة العرب في كلامها))[٢١]. إذ لم يكن المصطلح البياني قد ظهر لعهده بعد[٢٢]. وقد أثارت محاولة أبي عبيدة في كتابه(مجاز القرآن) كثيراً من النقد والجدل، وبخاصةٍ لدى معاصريه، فقد روي عن الفراء (ت٢٠٧ه) أَنه تمنى لو ضَربَ أبا عبيدة لمنحاه في التفسير، كما روي عن الأصمعي (ت٢١٦ه) أَنه كان يعيب على أبي عبيدة تأليفه لكتاب المجاز[٢٣].

وعلى الرغم من كثرة الانتقادات التي وجّهت لهذا الكتاب إلا أَنه ظلَّ مرجعاً أصيلاً لكثيرٍ من الدراسات البيانية في القرآن الكريم[٢٤]. وحتى نتبيَّن موضع كتاب مجاز القرآن بين كتب الدراسات البيانية والتفسير البياني، سنورد مثالاً من تفسير أبي عبيدة في هذا الكتاب.

يقول في تفسير الآية: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٧١] : ((إنما الذي يَنْعِقُ الراعي، و وقع المعنى على المنعوق به وهي الغنم ؛ تقول: كالغنم التي لا تسمع التي ينعق بها راعيها ؛ والعرب تريد الشيء فتحوّله إلى شيء من سببه، يقولون: أعرض الحوضَ على الناقة وإنما تُعرض الناقة على الحوض، ويقولون: هذا القميص لا يقطعني، ويقولون: أدخلت القَلَنْسُوَة في رأسي، وإنما أدخلت رأسك في القَلَنْسُوَة، وكذلك الخُفّ، وهذا الجنس؛ وفي القرآن: ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ ﴾ [القصص: من الآية٧٦] ما إنَّ العُصْبة لتنوء بالمفاتيح: أي تثقلها . والنعيق: الصِيَاح بها، قال الأخطل:

انْعِقْ بضَأنك يا جريرُ فإنما منّتك نفْسُك في الخلاء ضَلالا))[٢٥].

فقد أشار إلى الصورة البيانية التي تضمنتها الآية الكريمة من خلال تحليله للتشبيه التمثيلي والمجاز اللغوي فيها، إلا أنه تحدث عن ذلك بلغة عصره، بعيدًا عن الاصطلاحات البلاغية.

ولعلنا بعد هذه اللمحات الموجزة عن كتاب المجاز، نتبيَّن مدى انصاف الدكتور محمد رجب البيومي حين قال: ((إن فضل هذا الكتاب في الدراسات البلاغية أنه حين تعرض للنصوص القرآنية أشار إلى ما تدل عليه من حقيقة أو مثل أو تشبيه أو كناية وما يتضمن من ذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير، فوضع بذلك اللبنة الأولى في صرح الدراسات البلاغية للقرآن))[٢٦].

ويبدو أن منهج أبي عبيدة في التفسير قد نال حظوة لدى كثيرٍ من معاصريه، حتى أولئك الذين تعرضوا له بالنقد, فأبو زكريا الفراء (ت٢٠٧ه) الذي انتقد أبا عبيدة لمسلكه في التفسير نجده قد

وضع كتابه (معاني القرآن) الذي يُعَدُّ امتداداً لمجاز أبي عبيدة ومكملاً لدراسته اللغوية في القرآن الكريم. ومن يمعن النظر في كتاب الفراء يجد أنه كان كثير الاحتذاء بمنهج أبي عبيدة وبخاصة في ذكره للأمثلةِ الشعريةِ والنثريةِ قصدَ التوضيح للمعنى القرآني[٢٧]. غير أن الفراء قد تميز عن منهج أبي عبيدة في مجازه من حيث اهتمامه وعنايته بالجانب النحوي في تفسيره، فضلاً عن اهتمامه بذكر القراءات القرآنية وأسباب النزول[٢٨]. ولعل اهتمامه بالجانب النحوي أمرٌ له ما يبرره، إذ يُعد علم النحو من العلوم التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بتوجيه القراءاتِ القرآنية وتحديد المعنى القرآني وبيانه، فضلاً عن كون الفراء إماماً للنحو الكوفي[٢٩].

ومن أمثلة اللمحات اللغوية والبيانية في كتاب الفراء ما ذكره من تفسيرٍ لقوله تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [العاديات:٤]، إذ قال: ((وقوله عز وجل: ((بِهِۦ نَقْعًا)) يريد: بالوادي، ولم يذكره قبل ذلك، وهو جائز؛ لأن الغبار لا يثار إلاّ من موضع وإن لم يذكر، وإذا عرف اسم الشيء كُني عنه وإن لم يَجْرِ له ذكر))[٣٠]. فقد أشار في تفسيره هذا إلى أسلوب الإضمار في القرآن الكريم. كما وضح الفراء الكناية وإن لم يصرح بها عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم:٤٢]، حيث قال: ((يُريد: القيامة والسَّاعة لِشدَّتها .... وانشدني بعض العرب لجد أبي طرفة: كشف لهم عنْ ساقها وبدا من الشرِّ البراحُ))[٣١].

ويمضي أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦ه) على منهج من سبقه من العلماء الذين اعتمدوا التأويل اللغوي أساساً لتفسير نصوص القرآن الكريم وآياته. فقد وضع ابن قتيبة – وهو الفقيه السني – كتابه (تأويل مشكل القرآن) قاصداً به الدفاع عن كتاب الله الكريم ضد المطاعن والشبهات الموجهة إليه من أصحاب الملل والديانات الأخرى[٣٢]، وسائراً فيه على نهج أبي عبيدة اللغوي في التفسير والتأويل، إلا أن تفسيراته وتأويلاته هذه لم تواجه بالاستنكار كما كان الحال مع أبي عبيدة قبل ما يزيد على نصف قرن من الزمان. ومن الأمثلة على تفسيراته اللغوية والبيانية ما ذكره من تفسير للمجاز في لفظ (الرحمة) في القرآن الكريم، والذي عدّه استعارة بمعناها الواسع قبل تحديد المصطلح وضبطه، حيث قال: ((ومن الاستعارة ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران]، يعني جنّته سمّاها رحمة، لأن دخولهم إياها كان برحمته ومثله قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ [النساء: من الآية ١٧٥]. وقد توضع (الرحمة) موضع (المطر) لأنه ينزل برحمته. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا

بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: من الآية ٥٧] يعني المطر. وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ﴾ [الإسراء: من الآية ١٠٠] يعني مفاتيح رزقه. وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: من الآية ٢] أي رزق))[٣٣].

ومن الأمثلة على تفسيراته اللغوية والبيانية أيضاً ما ذكره من تفسير لبعض الآيات التي تضمنت أسلوب الاستفهام. فقد فصَّل القول في المعاني التي يخرج إليها أسلوب الاستفهام. ولننظر مثلاً إلى تفسيره لقوله تعالى: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ﴾ [الروم: من الآية ٢٨]، حيث قال في تفسيرها: ((وهذا استفهام فيه تقرير وتوبيخ))[٣٤].

ولعل من الجدير بالذكر في هذا المقام القول: إنَّ جميع الكتب التي عرفت في تاريخ الدرس اللغوي باسم (معاني القرآن وإعرابه ومجازه وتأويله) قد حفلت بإشارات لغوية وبيانية لها أثرها وقيمتها في الدراسات اللغوية والبيانية للقرآن الكريم[٣٥].

غير أن تلك الإشارات اللغوية في التفسير لم تعد تفي بحاجة المسلمين والباحثين عن سرِّ بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، وبخاصةٍ بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول غير العرب في الإسلام[٣٦]. فدعت الحاجة العلماء المسلمين إلى الكشف عن وجه إعجاز القرآن الكريم وعن سرِّ الفصاحةِ والبلاغةِ فيه، فكانت فكرةُ النظمِ القرآني السبيل الأقرب لدى العلماء للكشف عن وجه إعجاز القرآن الكريم وعن سرِّ الفصاحةِ والبلاغةِ فيه. فبدأ بذلك الطور الثاني من أطوار التفسير البياني.

ثانياً: طور النظم القرآني

تُعدُّ نظرية النظم القرآني من أهم النظريات التي فسَّر بها العلماء المسلمون الإعجاز في القرآن الكريم. وتقوم نظرية النظم على أساسِ أن القرآن الكريم معجزٌ بما اشتمل عليه من النظم البديع الذي فاق بفصاحته وبلاغته جميع أنواع النظم التي عرفتها العرب في نصوصها الشعرية والنثرية. ويُعدُّ الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ه) رائد هذه النظرية ومُنَظِّرها، فقد استوت على يديه نظرية متكاملة لها أصولها وقواعدها بعد أن كانت لُمعاً متناثرة وأفكاراً متداخلة في كتب العلماء من قبله.

ويمكن القول أن أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥ه) كان من أوائل الذين أشاروا إلى فكرة النظم القرآني[٣٧]. فقد ذكر الباحثون أن له كتاباً بعنوان (نظم القرآن) لكنه مما فقد من التراث ولم يصل إلينا[٣٨]. وحديث الجاحظ عن نظم القرآن مبثوثٌ في أثناء كتبه الأخرى. فقد ذكر في كتابه (الحيوان) رأيه في إعجاز القرآن الكريم ونظمه حين قال: ((وفي كتابنا الذي يدلُّنا على أنَّه صِدقٌ

نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد، مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء بهِ))[٣٩]. وقد كان للجاحظ بجانب فكرته عن النظم القرآني ملاحظ بيانيةٌ لامعةٌ، كان لها أثرها في تطور الدراسات البلاغية فيما بعد، فقد كان الجاحظ أول من تحدث عن المجاز بوصفه قسيماً للحقيقة، مقابلاً لها، فكان بذلك أول بياني يقترب من التحديد الاصطلاحي للمفاهيم البلاغية[٤٠]. ومن أمثلة نظراته البيانية في التفسير ما ذكره من تفسير للمجاز في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ [النساء: من الآية ١٠] وفي قوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ [المائدة: من الآية ٤٢] إذ قال في تفسيرها: ((وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة، ولبسوا الحلل، وركبوا الدوابَّ، ولم ينفقوا منها درهماً واحداً في سبيل الأكل وقد قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾ [النساء: من الآية ١٠]. هذا مجازٌ آخر))[٤١]. ومن نظراته البيانية أيضاً ما ذكره من حديث عن دقة ألفاظ القرآن الكريم في الوضع، إذ قال: ((وقد يستخفُّ النّاسُ ألفاظاً ويستعملونها وغيرُها أحقُّ بذلك منها. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوعَ إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدْقِع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السَّغَب ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر لأنك لا تجد القرآن يلفِظُ به إلاّ في موضع الانتقام. . .))[٤٢]. وليس غريباً على الجاحظ أن يتبوَّأَ تلك المكانة السامية في حقل البيان العربي، فالجاحظ أديب متكلم ينتمي إلى فرقة المعتزلة. تلك الفرقة التي انبرت للدفاع عن الدين الإسلامي ضد خصومه من المشككين والطاعنين به من أصحاب الملل والديانات الأخرى، وقد استلزمت تلك الخصومة بطبيعتها أن يكون القوم لسنين ذوي قوة في الحجاج وقدرة على الكلام، ومن هنا كانت البلاغة العربية وسيلتهم للدفاع عن الدين الإسلامي ومقارعة الخصوم[٤٣]. فكانت بذلك ((الفرقة التي ساهمت [أسهمت] أكثر من غيرها في إبراز خصوصيات البيان العربي وتحليل أساليبه في التعبير وضبطه))[٤٤].

وقد سار دارسو الإعجاز في القرآن على خطى الجاحظ في القول بفكرة النظم في إعجاز القرآن الكريم. فهذا هو أبو الحسن علي بن عيسى الرماني المعتزلي (ت٣٨٦ه) يضع رسالته (النكت في إعجاز القرآن مُصَرّحاً فيها بجهاتٍ سبعٍ للإعجاز القرآني، فكانت البلاغة القرآنية إحدى تلك الجهات السبع للإعجاز عنده. والرماني وإن تحدث عن الإعجاز القرآني من جهة البلاغة إلا أنه تحدث عن فكرة النظم القرآني بشكل خاص ضمن حديثه عن أقسام البلاغة العشر التي حددها[٤٥]. وقد تضمنت رسالة الرماني هذه كثيراً من

الشواهد القرآنية التي ساقها للتدليل على بلاغة القرآن الكريم وإعجازه. فكانت تحليلاته البيانية لتلك الشواهد نماذج تُحتَذى في التفسير البياني للقرآن. ومن أمثلةِ تحليلاتهِ البيانيةِ ما ذكره من تحليل بياني للآيةِ الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [النور: من الآية ٣٩]، إذ قال في تحليلها: ((فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في بطلان المتوهم من شدة الحاجة وعظم الفاقة، ولو قيل يحسبه الرائي ماءً ثم يظهر أنه خلاف ما قدَّر لكان بليغاً، وأبلغ منه لفظ القرآن، لأن الظمآن أشد حرصاً عليه وتعلق قلب به، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار. . . وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة))[٤٦]. ولعل من الجدير بالذكر في هذا المقام أن الرماني قد أشار في رسالته هذه إلى قضيةٍ مهمةٍ تنبَّهَ إليها البيانيون من بعده وتوسعوا فيها، ألا وهي قضية تأثير القرآن في النفوس، فقد بَدَت تلك القضية واضحة لديه من خلال تعريفه للبلاغة[٤٧]. إذ عرفها بقوله: ((إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ))[٤٨].

وعلى أساسٍ من الفكرةِ نفسها – فكرة النظم – يمضي أبو سليمان حمد بن إبراهيم الخطابي(ت٣٨٨ه)، وهو إمام سني، في رسالته (بيان إعجاز القرآن)، إلا أنه يتقدم خطوة على سابقيه ممن قالوا بفكرة إعجاز القرآن بنظمه. فمن يتتبع قول الخطابي في قضية النظم القرآني يجده قد حدَّدَ نظرية النظم تحديداً دقيقاً يَقرُبُ من التحديد الذي أتى به عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) إذ إنه جمع المعالم المتفرقة لنظرية النظم التي وردت في أقوال من سبقه من العلماء ممن قالوا بالفكرةِ نفسها[٤٩]. يقول الخطابي في سياق حديثه عن إعجاز القرآن: ((وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لها ناظم*. وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل في نعوتها وصفاتها))[٥٠]. لقد أشارَ الخطابي في رسالته هذه إلى قضيةٍ بيانيةٍ دقيقة عدَّها عمود البلاغةِ القرآنيةِ ، ألا وهي لمح الفروق الدلالية الدقيقة بين الألفاظ، يقول في ذلك: ((إن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في

إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح،... ونحوهما من الأسماء والأفعال والحروف والصفات،... والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك؛ لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها وإن كانا قد يشتركان في بعضهما))[٥١]. كما أشار الخطابي إلى قضية بيانية ثانية سَبَقَ أن أشار إليها الرماني في رسالته من خلال تعريفه للبلاغة، إلا أن الخطابي قد ذكرها صراحةً في رسالته (بيان إعجاز القرآن) وعدّها أحد وجوه إعجاز القرآن الكريم، تلك هي قضية أثر القرآن في نفوس سامعيه[٥٢]. وقد عَمد الخطابي إلى تحليل نصوص من القرآن الكريم تحليلاً بيانياً تطبيقاً لنظريته في إعجاز القرآن الكريم. ومن أمثلة تحليلاته البيانية ما ذكره من تحليل للآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون:٤]. إذ بَيَّن في تحليله لها سبب استعمال اللفظ القرآني (فاعلون) دون غيره من الألفاظ التي يُؤدَّى بها مراد الآية الكريمة كالأداء والإعطاء. فإن مثل هذه الألفاظ لن تفيد أكثر من حصول الاسم فقط، أما لفظ القرآن المختار فإنه يفيد المبالغة في الأداء مع المواظبة عليه، حتى يكون ذلك الفعل صفةً لازمةً لأصحابه[٥٣]. وهو معنى بياني لطيف أشار إليه الخطابي في سياق تحليله للآية الكريمة.

ويبدو أن القاضي أبا بكر محمد بن الطيب الباقلاني الأشعري (ت٤٠٣ه)، قد رأى في كتابه (إعجاز القرآن) ما رآه دارسو الإعجاز من قبله من القول بفكرة النظم في إعجاز القرآن الكريم. فقد أرجع الباقلاني إعجاز القرآن إلى وجوه ثلاثة، مقرراً فيها أن بديع نظم القرآن وبلاغته هو الوجه الثالث من وجوه الإعجاز[٥٤]. وواضح من نظرية الباقلاني في إعجاز القرآن الكريم أنه متأثر بفكرة الجاحظ في إعجاز القرآن بنظمه وأسلوبه المباين لأساليب العرب في كلامها، وبفكرة الرماني التي رأى فيها أن القرآن الكريم يرتفع إلى الطبقة العليا من طبقات البلاغة العربية[٥٥]. لقد تضمن كتاب الباقلاني نماذج بيانية من التفسير يُمكن عدّها حلقة أخرى من حلقات التفسير البياني التي تتبع أسبابها بدقةٍ وتأنٍ. فمن أمثلةِ وقفاته البيانية ما ذكره من تفسير للآيةِ الكريمةِ: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٥ – ٦]، إذ يقول في تفسيرها: ((وجه الوقوف على شرف الكلام: أن تتأمل موقع قوله: ﴿وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ﴾ وهل تقع في الحسن موقع قوله (ليأخذوه) كلمة؟ وهل تقوم مقامه في الجزالة لفظة؟ وهل

يسد مسده في الأصالة نكتة؟ لو وضع موضع ذلك (ليقتلوه) أو (ليرجموه) . . . ونحو هذا، ما كان ذلك بديعاً ولا بارعاً، ولا عجيباً ولا بالغاً . . . وإن فطنت، فانظر إلى ما قال من رد عجز الخطاب إلى صدره، بقوله: ((فأخذتهم، فكيف كان عقاب)) ثم ذكر عقيبها العذاب في الآخرة، وأتلاها تلو العذاب في الدنيا، على الإحكام الذي رأيت))[٥٦] . ومما يُحمد للباقلاني في كتابه هذا، قصده إلى تحليل بعض السور القرآنية تحليلاً متكاملاً، إذ نجده قد وقف إزاء سورتي (غافر والنمل) وقفةً متأنيةً، حلل فيها هاتين السورتين تحليلاً شاملاً ينمُّ عن براعةٍ وألمعيةٍ في الكشف عن أسرار البيان القرآني[٥٧] . ولم يغفل الباقلاني في دراسته للإعجاز الحديث عن أثر القرآن الكريم في نفوس سامعيه، فقد أشار إلى بعض الجوانب المتعلقةِ بأثر القرآن الكريم في النفوس أثناء حديثه عن إعجازِ نظمِ القرآنِ وبلاغتِهِ[٥٨] .

وقد كانت قضيةُ إعجاز القرآن بنظمِهِ موضع النظر في الجزء الخاص بإعجاز القرآن، من كتاب (المغني في أبواب التوحيد والعدل) للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي (ت٤١٥ه) . فقد أرجع القاضي عبد الجبار إعجاز القرآن الكريم إلى نظمِهِ، مُتخِذاً من فكرة الإمام الخطابي عن عناصر النظم منطلقاً له للحديث عن هذه القضية. فالإمام الخطابي يرى – كما ذكرنا سابقاً – أنه لابدَّ للنظم من عناصر ثلاثة: (لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لها ناظم))[٥٩] . ولم يبين الخطابي ماهية هذا الرباط الذي يجمع بين الألفاظ والمعاني، كما أنه لم يبين مفهوم النظام الذي يربط بينهما، فجاء القاضي عبد الجبار بنظريته في إعجاز القرآن بنظمه مبيناً لنا ماهية هذا الرباط ومفهومه[٦٠] . إذ قال: ((اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام؛ وإنما تظهر في الكلام بالضم، على طريقة مخصوصة، ولابدَّ مع الضم أن يكون لكل كلمة صفة؛ وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضع التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع؛ لأنه إما أن تعتبر فيه الكلمة، أو حركاتها، أو موقعها، ولابدَّ من هذا الاعتبار في كل كلمة؛ ثم لابدَّ من اعتبار مثله في الكلمات، إذا انضم بعضها إلى بعض لأنه قد يكون عند الانضمام صفة؛ وكذلك لكيفية إعرابها، وحركاتها، وموقعها؛ فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه إنما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها))[٦١] . فالقاضي عبد الجبار يبين في هذا النص مفهوم الفصاحة عنده، والذي يعني به نظم الكلمات بعضها مع بعض، وهو مفهوم مخالف لما استقر عليه علماء البلاغة المتأخرون من مفهوم للفصاحة، فهم يعدون الفصاحة وصفاً للكلمة أو الكلام الذي يخلو من الغرابة والثقل ومخالفة قواعد اللغة[٦٢] . وهذا الأمر يعود إلى

مفهوم الفصاحة الذي كان يرادف البلاغة عند القاضي عبد الجبار والإمام الجرجاني من بعده. كما يبين لنا ماهية هذا الرباط الذي يجمع بين الألفاظ والذي أشار إليه الخطابي من قبل في أثناء حديثه عن النظم. فقد ألمح في أثناء وصفه لهذا النظام الرابط إلى قضية معاني النحو التي اتخذها عبد القاهر الجرجاني من بعده منطلقاً له في نظريته حول إعجاز القرآن بنظمه[٦٣]. وعلى الرغم من أهمية حديث القاضي عبد الجبار عن نظرية النظم القرآني، إلا أنه لم يخرج لنا بأمثلة تطبيقية وشواهد بيانية من القرآن الكريم توضح لنا مفهوم نظريته بشكل عملي.

عبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم القرآني:

سبق الحديث عن أن الإمام عبد القاهر الجرجاني يُعدُّ رائد نظريةِ النظم ومنظِّرها، لا بمعنى أنه أول القائلين بها، بل لكونه هو الذي أنضجها. فقد ذكر الإمام عبد القاهر في كتابه (دلائل الإعجاز) أن سِرَّ إعجازِ القرآن الكريم يكمن في نظمه[٦٤]، وأنْ ليس للنظم من معنى سوى ((توخّي معاني النحو فيما بين الكلم))[٦٥]. ولم يخرج الإمام عبد القاهر في نظريته هذه – وهو المتكلم الأشعري – عن آراءِ من سبقه من المتكلمين الذين اعتبروا أنَّ وجه إعجاز القرآن الكريم يكمن في نظمه المباين لأساليب العرب في كلامها[٦٦]. غير أنه بتحديده هذا لمفهوم النظم القرآني يكون أوَّل من أصَّلَ لنظرية النظم في البيان العربي ونظر إلى النظم والسياق القرآني بنظرةٍ عميقة[٦٧]. لقد اشتمل كتاب (دلائل الإعجاز) على شواهد قرآنية أخرج فيها الإمام عبد القاهر آراءه في الإعجاز القرآني من حيز التنظير إلى حيز التطبيق على نطاقٍ محدود، إذ لم تكن شواهده من الكثرة بالمستوى الذي يجب أن تكون عليه في كتاب يقدم المباحث البلاغية مدخلاً لفهم إعجاز القرآن الكريم ونظمه[٦٨]. فمن الشواهد القرآنية التي أوردها الإمام عبد القاهر في كتابه والتي عمد إلى تحليلها تحليلاً بيانياً، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام: من الآية ١٠٠]، فقد بين في هذه الآية الكريمة سر تقديم كلمة (شركاء) على كلمة (الجن)، إذ قال في ذلك: ((بيانه، أنا وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجنَّ شركاءَ وعبدوهم مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يَحصُل مع التأخير حصوله مع التقديم فإن تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى، ويفيد معه معنى آخر، وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك، لا من الجن ولا من غير الجن))[٦٩]. ولا يكتفي الإمام عبد القاهر بهذا القدر من الشرح للآيةِ الكريمة وإنما يُسهِبُ في شرحها وتوضيحها بشكل يُجلي الصورة الحقيقية للبيان في النظم القرآني. فبعد أن قرر المعنى المستفاد من التقديم في الآية الكريمة بيَّن لنا التقدير الذي سيؤول إليه الكلام في حالة التقديم، إذ قال: ((وذلك

أن التقدير يكون مع التقديم: أن (شركاء) مفعول أوّل لجعل، و(الله) في موضع المفعول الثاني، فيكون (الجن) على كلام ثانٍ، وعلى تقدير أنه كأنه قيل: (فمن جعلوا شركاءَ لله؟)، فقيل: (الجن). وإذا كان التقدير في (شركاء) أنه مفعولٌ أوّل، و(الله) في موضع المفعول الثاني، وقع الإنكار على كون شركاء لله تعالى على الإطلاق من غير اختصاص شيء دون شيء. وحَصَل من ذلك أن اتخاذ الشريك من غير الجن قد دخل في الإنكار دخول اتخاذه من الجن، لأن الصفة إذا ذكرت مجرَّدة غير مُجْراةٍ على شيء، كان الذي تعلَّق بها من النفي عامّاً في كل ما يجوز أن تكون له تلك الصفة))[٧٠]. ومثل هذا البيان المشرق يمضي عبد القاهر في تقرير شرحه للآية الكريمة، مبيناً لنا شرف النظم القرآني وكرم موقعه من النفس. والحق أنَّ الإمام عبد القاهر الجرجاني وإن شُغِلَ في كتابِهِ (دلائل الإعجاز) بتقريرِ نظريةِ النظمِ القرآني، إلا أنه لم يغفل الحديث عن التأثير الذي يُحدِثُهُ القرآن الكريم ببلاغته في نفوس سامعيه[٧١]. كما أنه لم يغفل عن هذا الجانب من التأثير في كتابه الثاني (أسرار البلاغة) الذي عدَّ فيه مصدر بلاغة القرآن الكريم تأثيره في نفوس سامعيه[٧٢]. فقد ذكر في أكثر من موضع من كتابه (أسرار البلاغة) أن أساليب القرآن الكريم في التعبير لها أثرها في تحريك النفوس وأُنسِها ودعوةِ القلوب إليها[٧٣].

لقد مَهَّدَ الإمام عبد القاهر بمفهومه هذا عن نظرية النظم القرآني الطريق للبلاغيين من بعده كي يُؤسِّسوا مبادئ البلاغة العربية وعلومها بشكلٍ دقيق. فلم يجد البلاغيون من بعده تعريفاً للبلاغة أقرب من تعريفه الذي حدَّ به النظم القرآني. فالخطيب القزويني (ت٧٣٩ه) الذي حدَّ بلاغة الكلام بقوله: ((مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته))[٧٤]، صرَّح بأن قوله هذا في تعريف بلاغة الكلام هو نفسه قول الإمام عبد القاهر في تعريفه للنظم، إذ قال: ((وهذا – أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال – هو الذي يُسمّيه الشيخُ عبدُ القاهرِ بالنّظمِ حيث يقول: النّظمُ تآخِي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يُصاغُ لها الكلام))[٧٥].

لقد كانت نظرية النظم القرآني منذ نشوئها وحتى استوائها نظريةً متكاملةً لها شأنها في تاريخ البلاغةِ العربيةِ، كما كانت سبيلاً لتطور مفهوم التفسير البياني وتطبيقاته لدى العلماء. فنظرية النظم في حقيقتها نظريةٌ بيانيةٌ تهدف إلى الكشفِ عن الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وهو الهدف عينه المرجوُّ من التفسير البياني للقرآن الكريم.

ولم يكن القائلون بفكرة إعجازِ القرآن بنظمِهِ آخر المسهمينَ في تطور مفهوم التفسير البياني وتطبيقاته؛ فقد كان للبلاغيين والأدباءِ أيضاً إسهاماتهم في هذا الميدان من التفسير. وقد مضت تلك

الإسهامات بالتزامن مع تطور فكرة النظم القرآني، مُشكِّلةً بذلك الطور الثالث من أطوار التفسير البياني للقرآن الكريم.

ثالثاً: طور إسهام البلاغيين والأدباء في التفسير البياني للنص القرآني

لقد كان للبلاغيين والأدباء بجانبِ دراساتهم البلاغية والأدبية إسهاماتهم في تفسير نصوصٍ من القرآن الكريمِ تفسيراً بيانياً يقوم على أسس فنيةٍ وجماليةٍ اتخذوها معياراً للكشفِ عن سرّ بلاغةِ القرآنِ الكريمِ وإعجازه. ولعل أبرز البلاغيين والأدباء الذين أسهموا في هذا الميدان من التفسير هم:

١- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت٣٩٥ه):

يُعدُّ أبو هلال العسكري أحد الأدباء الذين أسهموا في دراسة بلاغةِ القرآنِ الكريمِ وإعجازه من خلال كتابهِ (الصناعتين). فقد ذكر في مقدمةِ كتابه هذا كلاماً يُنبِئُ عن مدى اهتمامهِ بمعرفةِ البلاغةِ ودراستها لكونها الطريق الموصّل إلى معرفة إعجازِ القرآنِ الكريمِ. حيث قال: ((اعلَمْ – علَّمَك اللهُ الخيرَ، وَدَلَّكَ عليه، وقيَّضَه لك، وجعلَك من أهله – أنَّ أحقَّ العلومِ بالتعلُّمِ، وأوْلاَهَا بالتحفّظ – بَعْدَ المعرفةِ بالله جلَّ ثناؤه – علمُ البلاغة، ومعرفةُ الفصاحة، الذي به يُعرَفُ إعجازُ كتابِ الله تعالى، . . . وقد علمنا أنَّ الإنسانَ إذا أغْفَل علمَ البلاغة، وأخلَّ بمعرفةِ الفصاحة لم يَقَعْ علمُه بإعجاز القرآن من جهةِ ما خصَّهُ الله بهِ من حُسنِ التأليفِ، وبراعةِ التركيب، وما شَحَنَهُ به من الإيجازِ البديع، والاختصارِ اللطيفِ، وضمَّنَه من الحلاوةِ، وجَلَّله من رَونَقِ الطَّلاوة، مع سهولةِ كَلِمِهِ وجَزَالَتِها، وعذوبَتِها وسلاسَتِها، إلى غير ذلك من محاسِنه التي عجز الخَلْقُ عنها، وتحيَّرت عقولُهم فيها))[٧٦]. فأبو هلال العسكري يبين في هذا النص أنَّ إعجاز القرآن الكريم يكمن فيما تضمَّنه من وجوه البلاغةِ والبيان ، فضلاً عما يتركه من أثرٍ في نفوسِ سامعيه بما اشتمل عليه من الحلاوةِ والطلاوة. وقد استعان العسكري في مؤلَّفِهِ هذا بجملةٍ من الكتب التي وضعها سابقوه ممن كتبوا في البلاغةِ والنقدِ عامةً وفي بلاغةِ القرآنِ خاصَّةً[٧٧]. وحتّى تتبيَّن منزلةَ أبي هلال العسكري بين روادِ التفسير البياني للقرآنِ الكريمِ، سنوردُ مثالاً من تفسيره في هذا الكتاب. يقول أبو هلال العسكري في تفسير آيةِ سورةِ الكهف: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: من الآية ١٧] : ((ليس في جميع القرآن أبلغ ولا أفصح من هذا، وحقيقة القرْض هاهنا أن الشمس تمسّهم وقتاً يسيراً ثم تغيب عنهم، والاستعارة أبلغ، لأن القرض أقل في اللفظ من كل ما يستعمل بدله من الألفاظ، وهو دال على سرعة الارتجاع، والفائدة أن الشمس لو طاولتْهُم بحرّها لصهرتهم، وإنما كانت تمسُّهم قليلاً بقدر ما يصلح الهواء الذي هم فيه؛ لأن الشمس

إذا لم تقع في مكان أصلا فسد))[٧٨] . فقد بين العسكري في تفسيره هذا النكتة البيانية في استعمال لفظ (القرض) دون غيره من الألفاظ الأخرى. مشيراً في ذلك إلى دقةِ الاستعمال القرآني للألفاظ وبلاغتها. وقد حفل كتاب (الصناعتين) لأبي هلال العسكري بكثيرٍ من النصوص القرآنيةِ التي ساقها للاستشهاد على المسائل التي تناولها في كتابه. ومن يتتبع تحليلاته البيانية لتلك النصوص القرآنيةِ يجده كثيراً ما كان يبدع في إبراز الخصائص الفنيةِ والجماليةِ في النص القرآني.

٢ – أبو الحسن محمد بن الحسين الشريف الرضي (ت٤٠٦ه):

أديب وفقيه من كبار فقهاء الشيعة الإمامية، أسهم في دراسة بلاغة القرآن الكريم وإعجازه من خلال كتابه (تلخيص البيان في مجازات القرآن) الذي تناول فيه تفسير الآيات التي اشتملت على المجاز والاستعارة في كل سورة من سور القرآن الكريم. وقد امتاز تفسيره لتلك الآيات بالدقة والإيجاز في القول فضلاً عن جمال الأسلوب وقوة البيان[٧٩] . ومن الأمثلةِ على تفسيره البياني ما ذكره من تفسير للآيةِ الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾ [البقرة:١٧٤]، حيث قال في تفسيرها: ((﴿مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾. وهذه استعارة. كأنهم إذا أكلوا ما يوجب العقاب بالنار كان ذلك المأكول مشبهاً بالأكل من النار. وقوله سبحانه: في بطونهم: زيادة معنى، وإن كان كل آكل إنما يأكل في بطنه، وذلك أفظع سماعاً، وأشد إيجاعاً. وليس قول الرجل للآخر: إنك تأكل النار، مثل قوله: إنك تدخل النار في بطنك))[٨٠] . ففي هذا المثال لم يكتفِ الشريف الرضي بما ذكره من تفسيرٍ للاستعارةِ في الآيةِ الكريمة، وإنما تجاوز ذلك وزاد في البيان موضحاً سبب قوله تعالى (في بطونهم) مع أن كل أكلٍ إنما يتَّجه إلى البطن. إذ بيَّن لنا أن في زيادةِ هذا اللفظ زيادة في المعنى. فقد أوحت لنا هذه الكلمة بالمنظر الهائل والمفزع الذي سيؤول إليه مصيرُ الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً. ووقفةُ الشريف الرضي إزاءَ هذا المعنى الذي أوحت به زيادة اللفظ تدل على أنه قد أدرك الأثر النفسي للقرآن الكريم، فضلاً عن إدراكه للظلال التي توحي بها كلمات القرآن وصورهِ البيانيةِ[٨١] .

٣ – أبو القاسم علي بن الحسين الشريف المرتضى (ت٤٣٦ه):

أديب ومتكلم معتزلي وفقيه من كبار فقهاء الشيعة الإمامية. أسهم في دراسة بلاغة القرآن الكريم وإعجازه من خلال وقفاته التحليلية أمام بعض نصوص القرآن الكريم وآياته المتشابهات التي

خالفت في ظاهرها أصول فرقة المعتزلة وعقائدها[٨٢]. فقد تضمن كتابه (غُرر الفوائد ودُرر القلائد) الذي أملاه على تلاميذه في مجالس أدبية، تفسيره للآياتِ المتشابهات في القرآنِ الكريمِ، متَّبعاً في ذلك طريقةَ أصحابه من المعتزلة في التأويل والتحليل[٨٣]. ومن يتتبَّع منهج الشريف المرتضى في تفسيره لنصوص القرآن الكريم يجده شديد الحرص على تطبيق المبدأ اللغوي في تفسير آيات القرآن الكريم، ذلك المبدأ الذي يعد الأصل الأول من أصول التفسير عند المعتزلة[٨٤]. كما يجده شديد الحرص أيضاً على إيراد الوجوه المختلفةِ والآراء المحتَملةِ في الآيةِ الواحدة[٨٥]. فعند تفسيره لآيةِ سورة النحل: ﴿ ئې ئې ئى ئى ئد﴾ [النحل: من الآية ٢٦]، أورد ثلاثة وجوهٍ لبيان فائدة قوله تعالى: (من فوقهم) مع قوله تعالى: (فخرَّ عليهم السقفُ) الذي لا يمكن أن يتوهم معه أحد أنَّ السقف يخرُّ من تحتهم. فكان الوجه الأول: هو أن يكون حرف الجر (على) في الآية الكريمة بمعنى (عن) أي: فخرَّ عنهم السقفُ، بمعنى أنه: خرَّ عن كفرهم وجحودهم بالله سبحانه وتعالى وآياته. وعلى هذا يكون معنى الآية الكريمة: فخرَّ من أجلِ كفرهم السقف من فوقهم. ولو أن الآية الكريمة وردت على هذا المعنى دون ذكر: (من فوقهم) لجاز أن يتوهم متوهم أن السقف خرَّ وليس هم تحته. أما الوجه الثاني: فهو أن يكون حرف الجر (على) بمعنى (اللام)؛ أي: فخرَّ لهم السقف. فقد أجازت العرب إقامة حرف الجر (على) مقام حرف الجر (اللام) .وعلى هذا المعنى يمكن أن يتوهم أنَّ السقف قد خرَّ ولم يكونوا تحته؛ فكان لورود قوله تعالى (من فوقهم) فائدة، لولاها ما فهم المعنى. أما الوجه الثالث: فهو أن يكون قوله تعالى: (من فوقهم) تأكيداً للكلام وزيادةً في البيان[٨٦]. ولم يوجز الشريف المرتضى وجوه التفسير لهذه الآية الكريمة بمثل ما أوردناها؛ وإنما فصَّل القول فيها على طريقة المتكلمين، واستشهد لها بآياتٍ من القرآن الكريم ونماذج من أقوال العرب وأشعارهم. ولعلنا بعد هذه الوقفة مع تفسير الشريف المرتضى نستطيع أن نتبيَّن المقدار الذي أسهم فيه الشريف المرتضى في شقِّ رافدٍ من روافد التفسير البياني للقرآن الكريم. فقد كان اعتماده للمبدأ اللغوي في التفسير سبيلاً لتطور مفهوم التفسير البياني وتطبيقاته.

٤ – أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي (ت٦٢٦ه):

لا شكَّ أن الحديث عن السكاكي وجهوده في دراسة بلاغة القرآن الكريم وإعجازه يقودنا إلى الحديث عن تقعيد البلاغة العربية وتقسيمها إلى علومها الثلاثة. فقد خصص السكاكي القسم الثالث من كتابه (مفتاح العلوم) للحديث عن البلاغة وعلومها . متخذاً من المنهج العلمي الذي يعتمد الفلسفة والمنطق وعلم الكلام أساساً يبني عليه تعريفاته وتقسيماته للبلاغة العربية[٨٧]. فقد عمل على تقسيم

البلاغة إلى علومها الثلاثة على النحو الذي تُعرف به الآن، كما عمل على تقعيد البلاغة وضبط حدودها وعلومها. وقدعدَّ كثير من الباحثين عمل السكاكي هذا قضاءً على البلاغةِ بوصفها فناً يعتمد على النص ويستعين بالذوق، فأحالها بذلك علماً جافاً ذا قواعد واصطلاحاتٍ، تغلب عليه النزعة الفلسفية والمنطقية[٨٨]. ويبدو أن السكاكي قد تجاوز منهجه الذي يعتمد الفلسفة والمنطق حين تناول موضوع الإعجاز فعزاه إلى الذوق الذي هو ثمرة علمي المعاني والبيان. فقد صرّح السكاكي برأيه في إعجاز القرآن قائلاً: ((واعلم أن شأن الإعجاز غريب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تُدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة، ومُدرِكُ الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلاَّ، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين))[٨٩]. إن من الواضح في هذا النص اعتماد السكاكي للبلاغةِ سبيلاً للوصول إلى إعجاز القرآن الكريم وإدراكه. وهو الأمر الذي أشار إليه بقوله: ((ومُدرِكُ الإعجاز عندي. . . خدمة هذين العلمين)) أي؛ علمي البلاغة: المعاني والبيان. لقد كان نصيب السكاكي من دراسة بلاغة القرآن الكريم وإعجازه مجموعة شواهد قرآنيةٍ ساقها في أثناء حديثه عن أقسامِ البلاغةِ وفروعها. ومن الأمثلةِ على تفسيره ما ذكره من تفسيرٍ للآيةِ الكريمةِ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:٤٤].

فقد نظر إلى هذه الآية الكريمة من جهاتٍ أربع: جهة علم البيان، وجهة علم المعاني، وجهة الفصاحة المعنوية، وجهة الفصاحة اللفظية. فأما النظر من جهة علم البيان فقد حدد فيه ما في الآيةِ الكريمةِ من المجاز والاستعارةِ والكناية. وأما النظر من جهةِ علم المعاني فقد حدد فيه فائدةَ كلِّ كلمةٍ منها، وكلِّ تقديمٍ وتأخيرٍ فيها. وأما النظر من جهة الفصاحةِ المعنويةِ فقد ذكر فيه لُطف نظمِ معانيها وكيف أنَّ معانيها تُسابِقُ ألفاظها إلى القلب. فأما النظر من جهةِ الفصاحةِ اللفظيةِ فقد ذكر فيه كيف أنَّ ألفاظها جاءت عربيةً خالصةً جاريةً على قواعدِ اللغة، سليمةً من التنافر[٩٠]. وواضح من تفسيره لهذه الآيةِ الكريمةِ الأسلوب المنطقي الذي يعتمده في تفسيره للآيات القرآنية والذي يُجافي بطبيعته الأسلوب البياني الذي يعتمد الذوق في استجلاء جمالياتِ النص القرآني والكشفِ عن أسرارِ بلاغتهِ وإعجازه. لقد مثَّلَ السكاكي بما قدَّمهُ من دراسةٍ بلاغيةٍ لنصوص القرآنِ الكريمِ وإعجازهِ مرحلةً من مراحل التفسير البياني اتسمت بالجمع بين المعيارية التي قعد لها أو من أجلها علمي المعاني والبيان والذوق الذي جعله الغاية من دراسة هذين العلمين، ولم تسعفه ملكته البيانية في تحقيق الجانب الذوقي في التحليل كما تهيأ ذلك للإمام عبد القاهر الجرجاني من قبله.

٥ – زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الإصبع المصري (ت٦٥٤ه):

يُعدُّ ابن أبي الإصبع المصري أحد الأدباءِ الذين أسهموا في دراسةِ بلاغةِ القرآن الكريم وإعجازه. فقد صنَّفَ كتاباً بعنوان (بديع القرآن) جمع فيه كلَّ أنواع البديع التي عُرِفت لعصره وعصر من سبقه من العلماء[٩١]. وقد تضمن كتابه هذا رأيه في إعجاز القرآن الكريم، الذي أرجعه إلى بلاغتهِ وفصاحتهِ وما تضمَّنه من الأنواع البديعيةِ التي خرجت عن مقدور البشر، فلم يشتغلوا بمعارضتها[٩٢]. لقد عَمدَ ابن أبي الإصبع المصري في كتابه هذا إلى الإكثارِ من الشواهدِ القرآنيةِ فيما عَرَضَ له من الأبواب البديعية، فكانت تحليلاته البيانية لبعض الشواهدِ نموذجاً للتفسير البياني في عصره. إذ نجده في بعضها قد تحرَّرَ من ثقل المصطلحاتِ البديعيةِ التي قيَّدَ فكره بها. فمن الأمثلةِ على تفسيره البياني ما ذكره من تفسيرٍ للآيةِ الكريمة: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٦]. إذ قال في تفسيرها: ((فإنَّه كان يمكن أن تأتي اللفظتان بغير زيادة، فيقال: (لها ما كَسَبَت وعليها ما كَسَبَت) وإنما منع ذلك ما يحصُل للنظم من العيب، وإغماض المعنى الذي قصد، أما العيب فاستثقال تكرار لفظه (كسبت) بغير زيادة في نظم قربت فيه الثانية من الأولى فسمج، وأما الإغماض فلأن المراد الإشارة إلى أنَّ الفطرة التي فطر الله – سبحانه وتعالى – الناس عليها فطرة الخير، فالإنسان بتلك الفطرة السابقة في أصل الخلق لا يحسن أن ينسب إليه إلا كسب الحسنات، وما يعمله من السيئات، يعمله لمخالفته الفطرة، فكأنَّه تكلَّفَ من ذلك ما ليس في جبلّته، فوجبت زيادة تاء الافتعال...))[٩٣]. لقد استطاع ابن أبي الإصبع المصري من خلال تحليله البياني هذا الوصول إلى معنىً لطيف أشارت إليه الآيةُ الكريمةُ و أوحى به لفظ القرآن الكريم.

٦ – يحيى بن حمزة العلوي اليمني (ت٧٠٥ه):

يُعدُّ الإمام يحيى بن حمزة العلوي أحد علماء البلاغة الذين أسهموا في دراسةِ بلاغةِ القرآن الكريم وإعجازه من خلال كتابه (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز). فقد حاول الإمام العلوي في كتابه هذا الخروج على طريقة السكاكي التي تعتمد الفلسفة والمنطق في دراسة علوم البلاغة والإعجاز، لكنه وإن حاول ذلك من خلال سلوكه للمنهج البياني في التناول والتحليل متَّبعاً في ذلك منهج من سبقه من البيانيين، إلا أنَّه لم يستطع التخلص من طريقة السكاكي في التقسيم والتفريع والتقعيد، فجاء كتابه مزيجاً من الطريقتين البيانيةِ والكلامية[٩٤]. ومما يلاحظ في منهج الإمام العلوي في كتابه هذا كثرةُ إيراده للشواهدِ القرآنيةِ فيما يعرض له من موضوعاتٍ بلاغيةٍ وتحليلها تحليلاً بيانياً. فهو يرى أن إعجاز

القرآن الكريم يكمن في فصاحتِهِ وبلاغتِهِ وجودةِ نظمِهِ وحسنِ سياقِهِ[٩٥]. ومن الأمثلة على تفسيره البياني ما ذكره من تفسير لتقديم الخبر على المبتدأ في الآية الكريمة: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنبياء: من الآية ٩٧]، إذ قال في ذلك: ((فإنما قدَّمه ولم يقل أبصار الذين كفروا شاخصةً، لأمرين: أما أولاً فلأنَّه إنَّما قدَّم الضمير في قوله ليدل على أنَّهم مختصون بالشخوص دون غيرهم من سائر أهل المحشر، وأما ثانياً فلأنَّه إذا قدَّم الخبر أفاد أن الأبصار مختصة بالشخوص من بين سائر صفاتها من كونها حائرة أو مطموسة أو مزورّة إلى غير ذلك من صفات العذاب، ولو قال: واقترب الوعد الحق فشخصت أبصارهم، لم يعطِ من هذه الأسرار معنى واحداً))[٩٦]. فالعلوي يبين من خلال تفسيره هذا دقةَ نظم القرآن الكريم وبلاغتِهِ في إيصال المعنى المراد بأسلوبٍ يخلو من التعقيد الذي أِلفناه في تحليل السكاكي لشواهده القرآنية.

٧ ــ مصطفى صادق الرافعي (ت ١٣٥٦ه):

أديب من كبار أدباء العصر الحديث، أسهم في دراسة بلاغة القرآن الكريم وإعجازه في كتابه الذي وضعه تحت عنوان: (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية). إذ تضمن كتابه هذا محورين أساسين، أولهما: إعجاز القرآن، ثانيهما: البلاغة النبوية. يندرج تحت كل محور منهما مجموعة من الموضوعات التي تتصل به. والذي يعنينا من هذين المحورين ما ذكره من دراسة بيانية تتعلق بالمحور الأول المتمثل بإعجاز القرآن. إذ عرض الرافعي في هذا المحور من كتابه لموضوع نظم القرآن، فهو يرى أن إعجاز القرآن يكمن في نظمه الذي فاق ببلاغته جميع أنواع النظم التي عرفتها العرب. إذ قال: ((وليس رجل ذو علم بالكلام العربي وصنعته ينازع أو يرتاب في أن القرآن معجزة هذه العربية في بلاغة نظمه واتساق أوضاعه وأسراره))[٩٧].

ولم يكتفِ الرافعي بتحديد وجه إعجاز القرآن الكريم المتمثل في نظمه وإنما سعى إلى تقرير هذه الفكرة وترسيخها بدراسة بيانية لنظم القرآن، قام فيها بدراسة النظم من جهاته الثلاث: الحروف وأصواتها، الكلمات وحروفها، الجمل وكلماتها[٩٨]. وقد بسط الرافعي القول في كل جهة من الجهات الثلاث، فأتى من ذلك بنماذج فريدة للتفسير البياني، إذ عمد في تفسيراته البيانية إلى التحليل الصوتي للحرف والكلمة، كما عمد إلى تصوير المعنى القرآني بأسلوب فني فريد، وهو في هذا كله لم يغفل عن الدلالة النفسية التي توحي بها الكلمة القرآنية. ولنأخذ مثالاً على تفسيره البياني ما ذكره من تفسير لما ورد في بعض آيات القرآن من حروف قال النحاة بزيادتها، إذ قال: ((ثم الكلمات التي يُظن أنها زائدة في القرآن كما يقول النحاة ، فإن فيه من ذلك أحرفاً، كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ

مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٩من الآية] وقوله: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗا﴾ [يوسف: من الآية٩٦] فإن النحاة يقولون إن (ما) في الآية الأولى و(أن) في الثانية، زائدتان، أي في الإعراب. فيظن من لا بصر له أنهما كذلك في النظم ويقيس عليه، مع أن في هذه الزيادة لوناً من التصوير لو هو حذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته، فإن المراد بالآية الأولى، تصوير لين النبي (صلى الله عليه وسلم) لقومه، وإن ذلك رحمة الله، فجاء المد في (ما) وصفاً لفظياً يؤكد معنى اللين ويفخّمه، وفوق ذلك لهجة النطق به تُشعر بانعطاف وعناية لا يُبتدأ هذا المعنى بأحسن منهما في بلاغة السياق، ثم كان الفصل بين الباء الجارَّة ومجرورها (وهو لفظ الرحمة) مما يلفت النفس إلى تدبُّر المعنى وينبه الفكر على قيمة الرحمة فيه، وذلك كله طبعي في بلاغة الآية كما ترى. المراد بالثانية تصوير الفصل الذي كان بين قيام البشير بقميص يوسف وبين مجيئه لبعد ما كان بين يوسف وأبيه (عليهما السلام) وأن ذلك كأنه كان منتظراً بقلق واضراب تؤكدهما وتصف الطربَ لمقدمه واستقراره، غُنةُ هذه النون في الكلمة الفاصلة؛ وهي (أن) في قوله: (أن جاء)))[٩٩].

يتضح مما تقدم من تفسير للرافعي مدى إسهامه في رفد ميدان التفسير البياني بدراسة أصيلة تمثل حلقة أخرى من حلقات التفسير البياني الممتدة عبر الزمن.

ولعل من المنصف في هذا المقام أن نذكر ما أورده الدكتور فضل عباس من رأي حول كتابات الرافعي عامة و(إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) خاصة، إذ يمثل رأي الدكتور فضل عباس هذا صورة واضحة المعالم تتجلى فيها منزلة هذا الكتاب بين كتب الدراسات البيانية للقرآن الكريم. فهو يرى أن كتابات الرافعي: ((تتصف بالعمق في الأسلوب، مع سعة في الاطلاع، مع قوة في العرض، يزين ذلك كله عاطفة صادقة، وإحساس مرهف، وخيال خصب، وذهن ثاقب))[١٠٠]. إلا أنه على الرغم من إعجابه بما جاء به الرافعي في كتاباته أخذ عليه في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) ما نؤيده فيه، وهو قلة التطبيقات العملية لما أورده من شروح نظرية لفكرة النظم، إذ غلب على كتابه هذا الطابع النظري، في حين كانت تطبيقاته العملية مقتضبة[١٠١].

ولعلنا بعد رحلةِ التطوافِ والبحثِ هذهِ في كتب العلماءِ المسلمين عن مفهوم التفسير البياني وتطبيقاتهِ، يحقُّ لنا القول أنَّ التفسير البياني للقرآن الكريم لم يبقَ حبيسَ الإشاراتِ اللغويةِ والبيانيةِ والشواهدِ القرآنيةِ القليلةِ التي يسوقها العلماءُ للتدليلِ على

آرائهم حول الإعجاز في القرآن ودراساتهم البلاغية في هذا المضمار. وإنَّما أُفرِدَ هذا اللون من التفسير للقرآن الكريم بدراساتٍ خاصة. فقد اتسمت بعضُ كتب التفسير بالطابع البلاغي في تناولها للآياتِ الكريمةِ وتحليلها، في حين نالَ بعضها الآخر حظوةً من هذا اللون من التفسير وإن لم يُفرد بالدراسةِ والبحثِ فيها كلونٍ مستقلٍ قائمٍ بذاتِهِ. فتشكَّل بذلك الطور الرابع من أطوار التفسير البياني، طور التفسير البلاغي.

رابعاً: طور التفسير البلاغي

إنَّ من أبرز المفسرين الذين تعرَّضوا للتفسير البياني للقرآن الكريم، سواءً في ذلك من أفرَدَهُ بتفسيرٍ خاص أو من تناوله بجانب ألوانٍ أخرى من التفسير، هم:

١ – جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨ه):

مفسر وإمام من أئمةِ المعتزلة. وضع تفسيراً للقرآن الكريم بعنوان: (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، فعُدَّ به رائداً من رواد التفسير البياني للقرآن الكريم. لقد تبنى الإمام الزمخشري نظرية الإمام عبد القاهر في النظم القرآني وأخذ يطبقها على كل آيةٍ من آياتِ القرآن الكريم[١٠٢]. مستعيناً في ذلك بعلمي المعاني والبيان اللذين عدّهما سبيلاً لمعرفةِ سرِّ بلاغةِ القرآن الكريمِ وإعجازه. يقول الإمام الزمخشري في بيانِ فضل هذين العلمين: ((إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق سلكها – علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالةِ النظرِ فيه كل ذي علم؛ . . . إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن؛ وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقير عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزةِ رسول الله. . .))[١٠٣]. لقد تمثّل الإمام الزمخشري نظرية النظم القرآني للإمام عبد القاهر تمثُّلاً منقطع النظير، فأتى من ذلك بأسرارٍ في البلاغةِ والإعجاز لم يُسبق إلى مثلها؛ حتى عدَّ كثيرٌ من الباحثين كلَّ من جاءَ بعد الإمام الزمخشري وصنَّفَ في هذا الميدان من التفسير عالةً عليه[١٠٤]. ومما يلاحظ في منهج الإمام الزمخشري في تفسيره البياني للقرآن، مراعاته لأمرين عدَّهما كثيرٌ من البيانيين ممن جاؤوا بعده أصلين من أصول التفسير البياني للقرآن الكريم. هذان الأمران هما، أولاً: الاهتمام بالمعنى الأصلي للفظ؛ بمعنى: الرجوع إلى الأصل المعنوي الأول للفظ القرآن الكريم الذي يفسره، وهو أمرٌ له فوائده البيانية التي منها معرفةُ أنَّ الاصطلاح اللغوي لم يطلق جزافاً، وإنَّما أُطلق لعلاقةٍ صوتيةٍ أو معنويةٍ بين الاسم

والمسمى، فضلاً عن أنَّ هذه المعرفة تُعدُّ عاملاً مساعداً في توضيح المعنى وتدقيقه[١٠٥]. ((ذلك أنَّ إدراك العلاقة بين المعاني الثواني والمعاني الأوائل والرجوع بالمعنى المجرّد إلى المعنى المحسوس من شأنه أن يقرّب الدلالة ويجسّدها ويقوي الشعور بها ويكون بمثابة تشبيه المجرّد بالمحسوس المخرج الأغمض إلى الأوضح. . .))[١٠٦]. ثانياً: مراعاته للجانب النفسي في تفسير آيات القرآن الكريم؛ بمعنى: بيان الأثر النفسي للأساليب والألفاظ والعبارات القرآنية وما يُمكن أن توحي به من معاني ودلالات[١٠٧]. وعلى الرغم من كون تفسير الكشاف نموذجاً للتفسير البياني يُمثّل أرقى ما وصلت إليه البلاغة العربية في جانبها التطبيقي؛ إلا أنَّه لم يسلم من المآخذ والانتقادات التي أسداها إليه العلماء والباحثون. ولعل من أبرز المآخذ على تفسير الإمام الزمخشري، تطويعه لبعض نصوص القرآن الكريم لنصرة مذهبه الاعتزالي، إذ نجده في بعض المواضع من تفسيره يعمد إلى التذرع بالمعاني اللغوية والتعسف بالقول في الوجوه البيانية ومخالفة المعنى الظاهر الذي تنصُّ عليه الآية الكريمة سعياً إلى تطويع النص القرآني وجعله موافقاً لأصول المذهب الاعتزالي[١٠٨]. وحتى نضع تفسير الكشاف في موضعه الذي يستحق، سنورد مثالاً من التفسيرات البيانية الصافية للإمام الزمخشري التي يتحرر فيها من قيود مذهبه الاعتزالي. يقول الإمام الزمخشري في تفسير استعمال القرآن الكريم لصيغة المفعول بدلاً من الفعل في الآية الكريمة: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود: من الآية١٠٣]: ((فإن قلت لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله؟ قلت: لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنه لا بدَّ من أن يكون ميعاداً مضروباً لجمع الناس له، وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة، وهو أثبت – أيضاً – لإسناد الجمع إلى الناس, وأنَّهم لا ينفكون منه؛ ونظيره قول المتهدد: إنك لمنهوب مالك محروب قومك، فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل، وإن شئت فوازن بينه وبين قوله: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾ [التغابن: من الآية٩]، تعثر على صحة ما قلت لك. . .))[١٠٩]. فهذا مثال من أمثلة كثيرة للتفسير البياني عند الإمام الزمخشري نتحرّى من خلاله دقته في تفسير آيات القرآن الكريم وصفاء ذوقه وحسن بيانه.

٢ – أبو السعود محمد بن مصطفى العمادي (ت٩٨٢ه):

وضع الإمام أبو السعود العمادي كتاباً في تفسير القرآن الكريم بعنوان: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم). عمد فيه إلى بيان أسرار بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، معتمداً في ذلك على كتب من سبقه من العلماء والمفسرين في هذا الميدان، وبخاصةٍ تفسير الكشاف للإمام الزمخشري[١١٠]. والحق أنَّ الإمام أبا السعود العمادي في تفسيره هذا لم يكن ناقلاً ومحرراً لما ذكره العلماء من قبله

فقط، وإنَّما عمد إلى الكشف عن أسرار بلاغية في القرآن الكريم لم يكن للعلماء من قبله عهدٌ بها[١١١] . ومن الأمثلةِ على وقفاته البيانية ما ذكره من تعليل للحذف في الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:٣١]، حيث قال في ذلك: (((فلما رأينه) عطف مقدر يستدعيه الأمر بالخروج وينسحب عليه الكلام أي: فخرج عليهن، وإنما حذف تحقيقاً لمفاجأة رؤيتهن كأنها تفوت عند ذكر خروجه عليهن، كما حذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ بعد قوله: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ﴾ [النمل: من الآية٤٠]، وفيه إيذان بسرعة امتثاله (عليه السلام) بأمرها فيما لا يشاهد مضرته من الأقاويل))[١١٢] . فقد علل الإمام أبو السعود الحذف في الآية الكريمة تعليلاً بيانياً يقوم على فهم دقيق لجزئياتِ النظم القرآني و تفصيلاته.

٣ – شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (ت١٢٧٠ه):

كان لشهاب الدين الآلوسي نصيب من الدراسات البيانية للقرآن الكريم، فقد صنَّفَ كتاباً في التفسير بعنوان: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، مضمناً إياه آراء جلِّ من سبقه من العلماء والمفسرين ممن أسهموا في ميدان التفسير البياني للقرآن الكريم[١١٣] . وقد ذكر في مقدمة كتابه هذا رأيه في إعجاز القرآن قائلاً: ((والذي يخطر بقلب هذا الفقير أنَّ القرآن بجملته وأبعاضه حتى أقصر سورة منه معجز بالنظر إلى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب وموافقته لقضية العقل ودقيق المعنى وقد تظهر كلها في آية وقد يستتر البعض كالإخبار عن الغيب ولا ضير ولا عيب فما يبقى كاف وفي الغرضِ واف))[١١٤] . فهو يرى أنَّ إعجاز القرآن الكريم يكمن في نظمه وبلاغته فضلاً عن إخباره بالغيب. ونتيجة لإيمان الآلوسي بإعجاز القرآن ببلاغته نجده قد أسهم في دراسة بلاغة القرآن الكريم واستخراج أسراره اللغويةِ والبيانية، ولم يكتفِ بما أورده السلف من العلماء في هذا الميدان[١١٥] . فقدم بدراسته هذه جهوداً قيمة في التفسير البياني للقرآن الكريم. ومن الأمثلةِ على تفسيراته البيانية ما ذكره من تفسير لاستعمال أسلوب التعبير عن الماضي بالمستقبل في الآيةِ الكريمة: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾﴾ [يوسف:٧٠ – ٧٢]، إذ قال في تفسير ذلك: ((وحاصل المعنى ما ضاع منكم؟ وصيغة المستقبل لاستحضار

الصورة. . . فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم: ماذا سرق منكم على ما قيل لبيان كمال نزاهتهم بإظهار أنه لم يسرق منهم شيء فضلاً عن أن يكونوا هم السارقين له، وإنَّما الممكن أن يضيع منهم شيء فيسألونهم ماذا ؟، وفيه إرشاد إلى مراعاة حسن الأدب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البراء إلى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التأكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث قالوا في جوابهم: قالوا نفقد صواع الملك ولم يقولوا سرقتموه أو سرق، وقيل: كان الظاهر أن يبادروا بالإنكار ونفي أن يكونوا سارقين ولكنهم قالوا ذلك طلباً لإكمال الدعوى إذ يجوز أن يكون فيها ما تبطل به فلا تحتاج إلى خصام))[١١٦].

٤ – محمد عبده حسن خير الله (ت١٣٢٣ه):

يُعدُّ الإمام محمد عبده أحد المفسرين الذين أسهموا في تطور مفهوم التفسير البياني وتطبيقاته. فقد عَمدَ إلى تفسير القرآن الكريم عبر دروسٍ دينية ألقاها في الجامع الأزهر، حرص تلميذه محمد رشيد رضا على جمعها وتدوينها في تفسير عُرِفَ باسم (تفسير المنار)، ولم يكمل الإمام تفسيره للقرآن كاملاً ؛ فقد وافاه الأجل قبل إنهائه، فبلغ من التفسير من أول القرآن حتى الآية مئةٍ وخمسٍ وعشرين من سورة النساء[١١٧]. وللإمام تفسيرٌ آخر خاصٌ بالجزء الثلاثين من القرآن الكريم، وهو بعنوان (تفسير جزء عم) وقد وضعه لأغراضٍ تعليميةٍ حسب ما ذكر في مقدمته[١١٨]. لقد بَيَّنَ الإمام محمد عبده في مقدمة تفسيره للقرآن الأمور التي ينبغي على المفسر مراعاتها إن أرادَ لتفسيرِهِ الارتقاءَ إلى المرتبةِ العليا من مراتب التفسير. فكان من أهم هذه الأمور وأدخلِها ضمن المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم أمران، أولهما: ((فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن،. . . فإن كثيراً من الألفاظ كانت تستعمل في زمنِ التنزيلِ لمعانٍ ثم غلبت عليها غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد. . . والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه، فربما استعمل بمعانٍ مختلفة، كلفظ الهداية وغيره، ويحقق كيف يتفق معناه مع معنى الآية، فيعرف المطلوب من بين معانيه))[١١٩]. فالإمام يوجب على مفسر القرآن فهم المعنى الأصلي للفظ القرآن الكريم، وتحديداً المعنى الذي استعمل في زمن التنزيل. ثم يقترح سبيلاً لهذا الفهم يتمثَّلُ في فهم اللفظ القرآني من القرآن نفسه ، ويتم هذا بجمع ما تكرر من اللفظ القرآني في كل المواضع القرآنية، وتحديد معناه في كلِّ موضعٍ منها أو في تلك المواضعِ مجملةً وبما يتفقُ مع معنى الآيةِ الكريمة وسياقها الذي وردت فيه. فأما الأمر الثاني: فإنَّه يتمثّلُ في وجوب فهم المفسر للأساليبِ العربيةِ ليتمكن من خلالها من فهم مراد الله سبحانه وتعالى في كتابه، يقول الإمام محمد عبده في تقرير

هذا الأمر: ((إننا لا نتسامى إلى فهم مراد الله تعالى كله على وجه الكمال والتمام، ولكن يمكننا فهم ما نهتدي إليه بقدر الطاقة، ويحتاج هذا إلى علم الإعراب وعلم الأساليب (المعاني والبيان)...))[١٢٠]. إنَّ إيقان الإمام محمد عبده بضرورة فهم المفسر لأساليب العربية وعلوم البلاغة راجعٌ في حقيقته إلى إدراكه لقضيةِ إعجاز القرآن بنظمهِ وبلاغتهِ. فهو يرى أنَّ إعجاز القرآن يكمن في نظمهِ وبلاغتهِ التي تقاصرت عنها همم الفصحاء والبلغاء من العرب[١٢١]. ولم يغفل الإمام محمد عبده عند حديثه عن تفسير القرآن وإعجازه الحديث عن الأثر النفسي لآياته. فقد بيَّنَ لنا ما لبلاغة القرآن من أثرٍ في جذبِ القلوب إلى الإسلامِ ودعوتها إليه[١٢٢]. والحق أنَّ الإمام محمد عبده وإن كان هدفه من تفسير القرآن فهم كتاب الله من حيث هو دين يُرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة[١٢٣]، إلاّ إنَّه لم يبتعد بهدفه هذا عن الدراسةِ البيانيةِ للقرآن الكريم، فقد عمل على توجيه التفسير البياني للقرآن الوجهة التي تتكفل في بيان الخصائص القرآنيةِ وإيضاحها[١٢٤]. ومن أمثلة التفسير البياني عند الإمام محمد عبده ما ذكره من تفسير للآيةِ الكريمةِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: من الآية ١٤٣]. فقد رفض عند تفسيره لها ما أورده صاحب (الجلالين) من تفسير لتقديم الرأفةِ على الرحمةِ في الآيةِ الكريمة حين عدَّ الرأفة شدة الرحمة وأنَّه سبحانه قدّم الأبلغ رعايةً للفاصلة. ورأى أنَّ هذا قولٌ لا يصح؛ لأن ليس في القرآن كلمة تقدمت ولا تأخرت لأجل الفاصلة، وإنما وضعت كل كلمةٍ فيهِ في موضعها اللائق بها[١٢٥]. ثم بيَّن بعد رفضه لهذا القول التفسير الذي يرتضيه للآيةِ الكريمةِ، إذ قال: ((وعندي أنَّ الرأفة من آثارِ الرحمة والرحمة أعم، فإنَّ الرأفة لا تستعمل إلا في حقّ من وقع في بلاء، والرحمة تشمل دفع الألم والضرر وتشمل الإحسان وزيادة الإحسان، فذكر الرحمة هنا فيه معنى التعليل والسببية وهو من قبيل الدليل بعد الدعوى، فهو واقع موقعه كما تحب البلاغة وترضى، كأنه قال إنَّ الله رؤوف بالناس لأنه ذو الرحمةِ الواسعةِ فلا يضيع عمل عامل منهم، ولا يبتليهم بما يُظهِرُ صدق إيمانهم وإخلاصهم في اتباع رسوله ليضيع عليهم هذا الإيمان والإخلاص، بل ليجزيهم عليه أحسن الجزاء))[١٢٦]. و يظهر من تفسير الإمام هذا منحاه البياني في التحليل والاستنتاج. ذلك المنحى الذي لم يقتصر على ما دُوّنَ للإمامِ من تفسير وإنما تعداه إلى ما دَوَّنه تلامذته من تفسير لهم احتذوا فيه طريقته ومنهجه، نذكر منهم على سبيل المثال: محمد رشيد رضا، ومحمد الخضري، ومحمد مصطفى المراغي[١٢٧].

٥ ــ محمد عبد الله دراز (ت١٣٧٧ه):

يعد الدكتور محمد عبد الله دراز أحد أبرز العلماء الذين كتبوا في ميدان التفسير البياني للقرآن الكريم. إذ حفل كتابه الموسوم بـ(النبأ العظيم ــ نظرات جديدة في القرآن الكريم) بكثير من الخصائص اللغوية والبيانية التي امتاز بها نظم القرآن، واتسم حديثه عن تلك الخصائص بالجدة والابتكار والإبداع[١٢٨]. فعلى الرغم من أن كتاب (النبأ العظيم) جاء امتداداً لكتاب (إعجاز القرآن) للرافعي الذي بحث في نظم القرآن من جهاته الثلاث الحروف وأصواتها والكلمات وحرفها والجمل وكلماتها[١٢٩]، إلا أنه تفوق عليه في بيان خصائص النظم من الناحية الصوتية والمعنوية فضلاً عن الناحية الموضوعية. فقد بحث الدكتور محمد عبد الله دراز الناحية الصوتية في ألفاظ القرآن بوصفها القشرة السطحية للتعبير القرآني، وذكر فيها تجاربَ تُنبئ عن حقيقة إعجاز القرآن في تأليفه الصوتي، فحديثه عن هذه الناحية جاء في قسمين، أولهما: الجمال التوقيعي في توزيع حركاته وسكناته، ومداته وغُنَّاته، ثانيهما: الجمال التنسيقي في رصف حروفه وتأليفها من مجموعات مؤتلفة مختلفة[١٣٠]. كما بحث في الخصائص البيانية للقرآن الكريم فأتى من ذلك بنتائج وآراء مهمة لم يُسبق بمثلها. إذ إنه تناول دراسة الخصائص البيانية للقرآن على أربع مراتب، هي: القرآن في قطعة منه، والقرآن في سورة سورة منه، والقرآن فيما بين بعض السور وبعض، والقرآن في جملته[١٣١].

ولعل من أهم الخصائص البيانية التي كشفت عنها دراسة الدكتور محمد عبد الله دراز خصيصتان، أولاهما أن: ((القرآن إيجاز كله، سواء مواضع إجماله ومواضع تفصيله))[١٣٢]. والثانية: ((إحكام البنيان القرآني وتماسكه))[١٣٣]، فقد انفرد الدكتور محمد عبد الله دراز بالقول بالخصيصة الأولى، وقال في تقريرها: ((إن القرآن الكريم يستثمر دائمًا برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني. أجل؛ تلك ظاهرة بارزة فيه كله؛ يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز، ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب. ولذلك نسميه إيجازاً كله؛ لأننا نراه في كلام المقامين لا يجاوز سبيل القصد، ولا يميل إلى الإسراف ميلًا ما، ونرى أن مراميه في كلام المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحلى بأقل من ألفاظه ولا بما يساويها. فليس كلمة إلا هي مفتاح لفائدة جليلة، وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى))[١٣٤].

يتضح من النص السابق أن الدكتور محمد عبد الله دراز قد خرج من دراسته البيانية لنظم القرآن برأي مفاده، أنه ليس في القرآن موضع فيه إطناب. وقد بين الدكتور سبب مخالفته لرأي من سبقه من العلماء في قضية الإطناب هذه، مبرهناً على صحة رأيه بذكر

عدد من الأمثلة القرآنية التي ذكر العلماء أنها مواضع للإطناب فيه وهي في حقيقتها مواضع للإيجاز[١٣٥]. وتميز كلامه في الخصيصة الثانية بدقة بيانه ووضوح برهانه، وفي ذلك يقول: ((إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا؛ فإذا هي –لو تدبرت– بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول؛ فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضامِ والالتحاق. كل ذلك بغير تكلفة ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلًا، والمختلف مؤتلفًا))[١٣٦].

يكشف هذا النص عن رأي الدكتور محمد عبد الله دراز في قضية الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية مهما طالت أو قصرت. ولا شك أن الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية قضية لها جذورها التاريخية لدى المفسرين، ويمثل قول الدكتور محمد عبد الله دراز في هذا النص تأييداً وتأكيداً على وجود الوحدة لموضوعية في سور القرآن كلها، وقد برهن على صحة هذا القول بعرض نموذج للوحدة الموضوعية في سور القرآن، إذ عرض للوحدة الموضوعية في أطول سور القرآن وهي سورة البقرة[١٣٧]. ومن يتتبع الدراسة التي قدمها الدكتور للوحدة الموضوعية في سورة البقرة يجده قد أجاد الكشف عنها بأسلوب يخلو من التعقيد والتعسف في ربط موضوعاتها، فكانت دراسته بذلك نموذجاً يحتذى لمن جاء بعده ممن سعوا إلى إبراز الوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم.

وحتى نستوفي للدكتور محمد عبد الله دراز حقه في ميدان التفسير البياني للقرآن الكريم، سنعرض لتفسير من تفسيراته البيانية الفريدة، وهو تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: من الآية ١١] فقد أورد هذه الآية الكريمة في معرض حديثه عن نفي وجود كلمة مقحمة أو حرف زائد دون زيادة معنوية في القرآن الكريم، فالكاف في الآية الكريمة حسبما ذكر الدكتور قد ذهب أكثر أهل العلم إلى القول بوجوب زيادتها ((فراراً من المحال العقلي الذي يفضي إليه بقاؤها على معناها الاصلي من التشبيه؛ إذ رأوا أنها حينئذ تكون نافية الشبيه عن مثل الله، فتكون تسليماً بثبوت المثل له سبحانه، أو على الأقل محتملة لثبوته وانتفائه. . . . وقليل منهم من ذهب إلى أنه لا بأس ببقائها على

اصلها؛ إذ رأى أنها لا تؤدي إلى ذلك المحال لا نصاً ولا احتمالاً؛ لأن نفي مثل المثل يتبعه في العقل نفي المثل أيضاً))[١٣٨]، وهذا القول من الفريقين لم يلقَ قبولاً لدى الدكتور محمد عبد الله دراز، إذ يرى أن التوجيه الذي ذهب إليه القائلون ببقائها لا يعدو أن يكون مصححاً غير مرجح، فهو ينفي الضرر عن الحرف ولكنه لا يثبت فائدته ولا يبين مسيس الحاجة إليه، فمآله إلى القول بالزيادة التي تُستر باسم التأكيد، ذلك التأكيد الذي لا مكان له في هذه الآية، فتأكيد المماثلة غير مقصود بتاتاً، وتأكيد النفي بحرف يدل على التشبيه أمر محال[١٣٩] . والقول الذي يرتضيه الدكتور في تفسير ورود الكاف هنا ويجده راجحاً يأتي من طريقين:((الطريق الأول: وهو أدنى الطريقين إلى فهم الجمهور: أنه لو قيل:(ليس مثله شيء) لكان نفيًا للمثل المكافئ، وهو المثل التام المماثلة فحسب؛ إذ إن هذا المعنى الذي ينساق إليه الفهم من لفظ المثل عند إطلاقه. وإذاً لدب إلى النفس دبيب الوساوس والأوهام: أن لعل هنالك رتبة لا تضارع رتبة الألوهية ولكنها تليها، وأن عسى أن تكون هذه المنزلة للملائكة والأنبياء، أو للكواكب وقوى الطبيعة، أو للجن والأوثان والكهان، فيكون لهم بالإله الحق شبه ما في قدرته أو علمه، وشرك ما في خلقه أو أمره. . فكان وضع هذا الحرف في الكلام إقصاءً للعالم كله عن المماثلة وعما يشبه المماثلة وما يدنو منها، كأنه قيل: ليس هناك شيء يشبه أن يكون مثلًا لله، فضلًا عن أن يكون مثلًا له على الحقيقة. وهذا باب من التنبيه بالأدنى على الأعلى، على حد قوله تعالى:﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: من الآية ٢٣] نهيًا عن يسير الأذى صريحًا، وعما فوق اليسير بطريق الأحرى. الطريق الثاني: وهو أدقهما مسلكًا: أن المقصود الأولي من هذه الجملة وهو نفي الشبيه، وإن كان يكفي لأدائه أن يقال:(ليس كالله شيء) أو (ليس مثله شيء) لكن هذا القدر ليس هو كل ما ترمي إليه الآية الكريمة، بل إنها كما تريد أن تعطيك هذا الحكم تريد في الوقت نفسه أن تلفتك إلى وجه حجته وطريق برهانه العقلي. ألا ترى أنك إذا أردت أن تنفي عن امرئ نقيصة في خلقه فقلت: (فلان لا يكذب ولا يبخل) أخرجت كلامك عنه مخرج الدعوى المجردة عن دليلها. فإذا زدت فيه كلمة فقلت: (مثل فلان لا يكذب ولا يبخل) لم تكن بذلك مشيرًا إلى شخص آخر يماثله مبرأً من تلك النقائص، بل كان هذا تبرئة له هو ببرهان كلي، وهو أن من يكون على مثل صفاته وشيمه الكريمة لا يكون كذلك؛ لوجود التنافي بين طبيعة هذه الصفات وبين ذلك النقص الموهوم. على هذا المنهج البليغ وضعت الآية الحكيمة قائلة: (مثله تعالى لا يكون له مثل). تعني أن من كانت له تلك الصفات الحسنى وذلك المثل الأعلى لا يمكن أن يكون له شبيه، ولا يتسع الوجود لاثنين من

جنسه. فلا جرم جيء فيها بلفظين، كل واحد منهما يؤدي معنى المماثلة؛ ليقوم أحدهما ركنًا في الدعوى، والآخر دعامة لها وبرهانًا. فالتشبيه المدلول عليه "بالكاف" لمّا تصوب إليه النفي تأدّى به أصل التوحيد المطلوب؛ ولفظ (المثل) المصرح به في مقام لفظ الجلالة أو ضميره نبه على برهان ذلك المطلوب))[١٤٠].

هذا هو نص تفسير الدكتور محمد عبد الله دراز للآية الكريمة، آثرنا نقله كما أورده لنتبين دقته في الكشف عن الخصائص البيانية والفنية في نظم القرآن الكريم، وكيف انه اختط لنفسه منهجاً في التفسير يتسم باستيحاء الدلالة القرآنية بعيداً عن التعقيد والتعسف في التفسير والتأويل.

٦ – سيد قطب إبراهيم الشاذلي (ت١٣٨٥ه):

إنَّ الحديث عن جهود سيد قطب في ميدان التفسير البياني للقرآن الكريم لا يمكن استيفاؤه على نحو كامل دون الوقوف على أساسين مهمين اعتمدهما سيد قطب في تفسيره القيم للقرآن المعروف باسم (في ظلال القرآن). فقد اعتمد في تفسيره هذا على أساسين اثنين يُمكن عدُّهما من أهم ما قدَّم سيد قطب من جهودٍ في ميدان التفسير البياني للقرآن. وهذان الأساسان هما:

أولاً: الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية:

لاشك أن الحديث عن الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية حديث له جذوره التاريخية لدى المفسرين، فقد ((تفاوت نظر المفسرين إلى الوحدةِ الموضوعيةِ قديماً وحديثاً – ويعتبر سيد قطب في كتابه (الظلال) – أبرز الذين لاحظوها، وأقدر الذين أحسنوا التعبير عنها، بعد أن وفِّق لاكتشافها في جميع السور القرآنية، ثم تطبيقها على نصوص القرآن وسوره في الظلال))[١٤١]. لقد مكَّنَ اعتماد سيد قطب لهذا الأساس في تفسيره من الكشف عن الخصائص الفنية والبيانية العامة التي امتازت بها كل سورةٍ من سور القرآن الكريم. إذ من المعلوم أنَّ النظرةَ الجزئيةَ لنصوصِ القرآن الكريم تغفلُ بطبيعتها عن كثير من السماتِ الفنيةِ والأسلوبيةِ التي تسهم في رسمِ طابعٍ خاص لكل سورةٍ من السورِ القرآنية. وهذا هو المعنى الذي قَصَدَ إليه سيد قطب حين قال: ((إن كل سورةٍ من سور القرآن ذات شخصيةٍ متفردة ، وذات ملامح متميزة، وذات منهج خاص، وذات أسلوب معين،... إنها كلها تتجمع على الموضوع والغاية، ثم تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلة، وطرائقها المتميزة ومجالها المتخصص في علاج هذا الموضوع، وتحقيق هذه الغاية))[١٤٢].

ثانياً: التصوير الفني:

تعد نظرية التصوير الفني في القرآن الأساس الثاني من أسس التفسير التي اعتمدها سيد قطب في كتابه (الظلال)[١٤٣]. فهو يرى أنَّ التصوير الفني هو القاعدة الأساسية للتعبير عن جميع الأغراض – فيما عدا التشريع – في القرآن الكريم[١٤٤]. ولذلك نجده قد عرَّف التصوير الفني بقوله: ((هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية))[١٤٥]. إنَّ نظرية التصوير الفني في القرآن نظريةٌ رائدةٌ أصيلة تفرَّد سيد قطب في الكشف عنها وتطبيقها على نصوص القرآن الكريم، وقد اعترف له العلماء والأدباء المعاصرون بهذه الريادة وسجلوا له الأولّية في الكشف عنها[١٤٦]. لقد مثَّل هذان الأساسان من أسس التفسير عند سيد قطب خلاصة جهوده في ميدان التفسير البياني للقرآن الكريم. إذ استطاع من خلال إبرازه للوحدة الموضوعية في السورة القرآنية واعتماده للتصوير الفني أساساً للكشف عن السمات الفنية والجمالية في القرآن الوقوف على كثير من الخصائص النفسية والبيانية في سور القرآن الكريم وآياته[١٤٧]. لقد رأى سيد قطب أنَّ إعجاز القرآن يكمن في بلاغته وأسلوبه المعجز فضلاً عن إعجازه في النُظُم والتشريعات والأحكام وما إليها[١٤٨]. من أجلِ ذلك نجده قد وظَّفَ المباحث اللغوية والبلاغية في الاستدلال على معاني الآياتِ القرآنية وما تتضمنه من إشاراتٍ وتوجيهاتٍ عقيديةٍ وتربوية[١٤٩]. فمن الأمثلةِ على وقفاته البلاغية في تفسير القرآن الكريم، ما ذكره من تفسير للآيةِ الكريمة: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المائدة: من الآية ١٣]، حيث قال في تفسيرها: ((الفعلة الخائنة، والنية الخائنة، والنظرة الخائنة.. يجملها النص بحذف الموصوف وإثبات الصفة.. (خائنة).. لتبقى الخيانة وحدها مجردة، تملأ الجو، وتلقي ظلالها وحدها على القوم.. فهذا هو جوهر جبلتهم، وهذا هو جوهر موقفهم. . .))[١٥٠]. لقد تضمن كتاب الظلال لسيد قطب كثيراً من الوقفاتِ البيانيةِ التي مثَّلت نقلةً جديدةً في ميدان التفسير البياني للقرآن في العصر الحديث. إذ استطاع من خلال وقفاته هذه الكشف عن كثير من السمات الفنية والجمالية التي لم يكن للمفسرين من قبله عهد بها.

٧- محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣ه):

يُعدُّ كتاب (التحرير والتنوير) لابن عاشور من أهمِ كتبِ التفسيرِ التي أسهمت في تطور مفهوم التفسير البياني وتطبيقاته. فقد

حفل تفسيره هذا بكثيرٍ من النكت البلاغية والبيانية التي عدّها سبيلاً للكشف عن إعجاز القرآن الكريم. فهو يرى أنَّ إعجاز القرآن يتمثَّلُ في بلوغِهِ لأقصى درجاتِ الفصاحةِ والبلاغة[١٥١]. من أجل هذا نجده قد حدد السبيل لمعرفة إعجاز القرآن وتفسيره بقوله: ((ولعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار وجه الإعجاز ولذلك كان هذان العلمان يسميان في القديم (علم دلائل الإعجاز) . . .))[١٥٢]. لقد كان هدف ابن عاشور من تفسيره للقرآن الكريم الكشف عن سر بلاغة القرآن وإعجازه، وقد استعان في تحقيق هدفه هذا بكتب من سبقه من العلماء في هذا الميدان، كالزمخشري وأبو السعود العمادي والآلوسي[١٥٣]. وقد مثَّل تفسيره هذا مرحلةً مهمةً من مراحل تطور التفسير البياني للقرآن الكريم. إذ يمكن عدُّه في الجملة تفسيراً لغوياً بيانياً[١٥٤]. ومن الأمثلةِ على التفسير البياني فيه, ما أورده ابن عاشور من تفسير للآيةِ الكريمة: ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ [يس: ٦٣ – ٦٤]. إذ قال في تفسيرها: ((إقبالٌ على خطاب الذين عبدوا معبودات يسوّلها لهم الشيطان، إذ تبدو لهم جهنم بحيث يشار إليها ويعرفون أنها هي جهنم التي كانوا في الدنيا يُنذَرون بها وتُذكر لهم في الوعيد مدة الحياة. والأمر بقوله (اصْلَوْها) مستعمل في الإهانة والتنكير. و (اصْلَوْها) أمر من صلي يصلى، إذا استدفأ بحرّ النار، وإطلاق الصلْي على الإحراق تهكّم. والتعريف في (اليوم) تعريف العهد، أي هذا اليوم الحاضر وأريد به جواب ما كانوا يقولون في الحياة الدنيا من استبطاء الوعد والتكذيب إذ يقولون (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) والباء في (بما كنتم تكفرون) سببية، أي بسبب كفركم في الدنيا))[١٥٥]. يتبين من هذا المثال حرص ابن عاشور على إبراز الخصائص البيانية وتوضيح الأساليب البلاغية الواردة في نصوص القرآن الكريم بشكل دقيق. كما يتبين حرصه على بيان المعنى اللغوي للفظ القرآني وضبطه وهو الأمر الذي أشار إليه في مقدمة تفسيره[١٥٦].

٨- عائشة محمد علي عبد الرحمن – بنت الشاطئ – (ت١٤١٩ه):

لعل أول ما يتبادر إلى الأذهان عند الحديث عن المنهج البياني لتفسير القرآن الكريم في العصر الحديث منهج الأستاذ أمين الخولي (ت١٣٨٥ه) وتلميذته الدكتورة عائشة عبد الرحمن في التفسير البياني للقرآن الكريم. إذ عمل الأستاذ أمين الخولي مع تلميذته على وضع منهج مستقل للتفسير البياني يهدف إلى فهم إعجاز القرآن الكريم والكشف عن الخصائص اللغوية والبيانية التي اشتملت عليها

سور القرآن الكريم وآياته[١٥٧]. وقد حدد الأستاذ أمين الخولي معالم منهجه البياني في التفسير بخطواتٍ أربع، عملت تلميذته بنت الشاطئ على تطبيقها في كتابها المعروف باسم (التفسير البياني للقرآن الكريم)، حيث مثّل كتابها هذا ثمرة المنهج البياني في التفسير عند الأستاذ أمين الخولي. أما عن خطوات هذا المنهج فقد ذكرها الأستاذ أمين الخولي ضمن كتابه (مناهج تجديد) كما أشارت إليها الدكتورة عائشة عبد الرحمن في مقدمة كتابها (التفسير البياني). ويمكن إجمال هذه الخطوات بما يأتي:

١ – التفسير الموضوعي:

وهو أن يلتزم المفسر البياني موضوعاً قرآنياً واحداً يجمع الآيات الواردة فيه ليتناولها بالدراسةِ والتفسير مجتمعةً ليصل بعد ذلك إلى حكم القرآن النهائي في هذا الموضوع[١٥٨]. وتُعدُّ هذه الخطوة الأصل في منهج التفسير البياني عند الأستاذ أمين الخولي[١٥٩].

٢ – فهم ما حول النص

وهو أن يلتزم المفسر البياني ترتيب آياتِ الموضوعِ الواحد ترتيباً زمنياً – على حسب نزولها – فضلاً عن التزامهِ بمعرفةِ أسباب النزول[١٦٠]. مع أخذهِ بنظر الاعتبار أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية[١٦١].

٣ – النظر في المفردات:

وهو أن يلتزم المفسر البياني ببيان الدلالة اللغوية الأصلية للَّفظ القرآني، واستقراء كل ما ورد في القرآن من صيغ اللفظ وتدبر سياقها الخاص في الآيةِ و السورة، وسياقها العام في القرآن كله؛ ليخرج من ذلك برأي عن دلالته القرآنية[١٦٢].

٤ – النظر في المركبات:

وهو أن يلتزم المفسر البياني النظرة اللغوية البيانية في تحليل نصوص القرآن الكريم وآياته، على أن تكون اللغة والبلاغة عنده أداةً من أدوات الكشفِ عن المعنى القرآني واستجلائه، وليس مجموعةَ قواعدٍ وأحكامٍ تخضَعُ لها النصوص القرآنية[١٦٣].

وبانتهاء المفسر البياني من النظر في المركبات يكون قد انتهى من آخر خطوات المنهج البياني في التفسير عند الأستاذ أمين الخولي. إلا أنَّ تفسيره هذا يبقى قاصراً عن التطبيق الكامل لهذا المنهج. فقد أوجب الأستاذ أمين الخولي على المفسر البياني مراعاته لأمرٍ آخر بجانب التزامِهِ بتلك الخطوات، ألا وهو التفسير النفسي. فهو يرى أنَّ على المفسر البياني الإحاطة بما توحي به نصوص القرآن الكريم وآياتِهِ من معانٍ ودلالاتٍ نفسية[١٦٤]. لقد مثّل المنهج البياني في التفسير عند الأستاذ أمين الخولي مرحلةً مهمةً من مراحلِ تطور مفهوم التفسير البياني وتطبيقاته. إلا أنه على الرغم

من ذلك لم يكن بالمستوى الذي ينبغي أن يكون عليهِ بعد أن قطع أشواطاً زمنية عديدة ومرَّ بأطوار ومراحل مختلفة. لقد كان من المفترض على الأستاذ أمين الخولي الأخذ بتجارب من سبقه من العلماءِ في هذا الميدان تجنباً للوقوع في المآخذِ والهناتِ التي ظهرت في منهجه البياني في التفسير. إذ إنَّ مما يؤخذ على الأستاذ أمين الخولي في منهجه هذا أمرين، أولهما: اعتماده للتفسير الموضوعي أصلاً من أصول منهجه البياني معللاً ذلك بتجنبِ التناولِ المفرَّقِ للموضوع الواحد حسب وروده في السور القرآنية[١٦٥]. ولا شك أن التناول الموضوعي لنصوص القرآن الكريم وتفكيك السورةِ القرآنيةِ الواحدة وتجزئة نصوصها يُسهِمُ في ضياعِ كثيرٍ من الخصائصِ الفنيةِ والبيانيةِ التي اختصت بها السورة القرآنية[١٦٦]. فضلاً عن أنَّ الموضوع القرآني الواحد قد يبدو منفصلاً مستقلاً بذاتِهِ لكنه في حقيقتِهِ يكون متداخلاً ومترابطاً مع موضوعاتٍ قرآنيةٍ أخرى، ولا يمكن الوصول فيه إلى وجه الحقيقة إلاّ عن طريقِ مسالكَ وممراتِ الموضوعاتِ الأخرى[١٦٧]. فاعتماد التفسير الموضوعي كأصلٍ من أصولِ المنهجِ البياني في التفسير أمر يصعب تطبيقه – إن لم يكن يستحيل – ولننظر لذلك مثلاً محاولة الدكتورة عائشة عبد الرحمن في كتابها (التفسير البياني) الذي يُعدُّ نموذجاً تطبيقياً لهذا المنهج، إذ نجدها أنها لم تلتزم موضوعاً بعينه وإنما اختارت سوراً قصاراً ذكرت أنها قد لحظت فيها وحدة الموضوع[١٦٨]. غير أنَّ الموضوعية التي تحدثت عنها هي موضوعية جزئية، فالمواضيع التي تناولتها لها ما يماثلها في سورٍ أخرى لكنها اكتفت بما في سورةٍ واحدة عما في السور الأخرى وليس هذا بالموضوعية الشاملة[١٦٩]. وأما الأمر الثاني الذي يؤخذ على منهج الأستاذ أمين الخولي في التفسير البياني فهو: وجوب مراعاة المفسر البياني للترتيب الزمني لآياتِ الموضوعِ الواحد. إذ من المعلوم أن الترتيب الزمني للنزول أمر لا يمكن القطع به إلا في بعض الآياتِ التي تتوافر بشأنها الروايات، وعلى الرغم من الفوائدِ المترتبةِ على هذه المعرفة إلا أنه أمر يستحيل معرفته والجزم به[١٧٠]. وعلى الرغم من وجود تلك المآخذِ على منهج الاستاذ أمين الخولي إلا أن المحاولة التطبيقية لهذا المنهج قد أسفرت عن جهودٍ قيمة في ميدان التفسير البياني للقرآن. ولعل أبرز الذين أسهموا في تطبيق هذا المنهج من تلامذة الأستاذ أمين الخولي – كما ذكرنا سابقاً – تلميذته الدكتورة عائشة عبد الرحمن. فقد استطاعت من خلال اعتمادها لهذا المنهج في التفسير الكشف عن كثيرٍ من الملاحظِ الفنيةِ والبيانيةِ التي لم يكن للمفسرين من قبلها عهدٌ بها. فمن الأمثلةِ على تفسيرها البياني ما ذكرته من تفسيرٍ للَّفظِ (زرتم) في الآيةِ الكريمةِ: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾ [التكاثر:٢]، فبعد أن وقفت على الاستعمال القرآني للفظ (الزيارة)

وما ورد في القرآن كله من استعمالاتٍ للمادة، وبعد أن بينت الدلالة الحسية للفظةِ في اللغة، وعرضت لأقوالِ المفسرين فيها[١٧١] ، ذكرت رأيها الذي تفرَّدت به في تفسيرِ هذا اللفظ آخذةً بنظر الاعتبار الرأي الذي اختاره الطبري والذي ذهب فيه إلى أن الزيارة هنا معناها الموت[١٧٢]، إذ قالت: ((واستعمال الزيارة بهذا المعنى، صريح الإيحاء بأن الإقامة في القبر ليست إقامة دائمة، وإنما نحن فيها زائرون، والزائر غير مقيم، وسوف تنتهي الزيارة حتماً إلى بعث وحساب وجزاء. وهذا الإيحاء ينفرد به لفظ (زرتم) دون غيره، فلا يمكن أن يؤديه لفظ آخر، كأن يقال صِرْتم، أو رجعتم أو انتهيتم، أو أُبتم وأُلتم، وليس القبر المصيرَ والمرجع والمآب والمآل. كما لا يقال: سكنتم في المقابر، أو أقمتم بها، إلى غير ذلك من ألفاظ تشترك كلها في الدلالة على ضجعة القبر، لكن يُعوزها سرُّ التعبير الدال على أنها زيارة، أي إقامة عابرة مؤقتة، يعقبها بعث ونشور))[١٧٣]. فهذا مثال من أمثلةٍ كثيرةٍ للتفسير البياني عند الدكتورة عائشة عبد الرحمن تفرَّدت فيها بالكشف عن الخصائص البيانيةِ والأسرارِ التعبيريةِ في القرآن الكريم.

٩- فاضل صالح السامرائي:

من علمائنا المعاصرين، أسهم في تطور مفهوم التفسير البياني وتطبيقاته من خلال سلسلةٍ من الكتب التي وضعها لدراسةِ أسرار التعبير القرآني وخصائصه البيانية. وقد كان كتابه(على طريق التفسير البياني) الذي حرص فيه على تفسيرِ مجموعةٍ من السورِ القرآنيةِ تفسيراً بيانياً أبرز هذه الكتب وأهمها في ميدان التفسير البياني للقرآن الكريم. فقد حدد الدكتور فاضل السامرائي في مقدمةِ كتابه هذا مفهومه عن التفسير البياني، فضلاً عن تحديده لمجموعةٍ من الخطوات التي أوجَبَ على المتصدي للتفسير البياني العمل بها. فأما مفهومه عن التفسير البياني فقد حدده بقوله: إنه((التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني، فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير))[١٧٤]. وأما الخطوات التي أوجب على المفسر البياني العمل بها فقد ذكرها تحت عنوان: ((ما يحتاج إليه المتصدي للتفسير البياني))[١٧٥]، ويمكن إجمالها بالنقاط الآتية[١٧٦]:

١ – التبحر في علوم اللغة من نحوٍ وصرفٍ ولغةٍ وبلاغة.

٢ – العلم بالقراءات القرآنية وما يُمكن أن توحي به بعض القراءات من معانٍ ودلالات بيانية.

٣ – معرفة أسباب النزول.

٤ – النظر والتدبر في السياق القرآني بقصد معرفة أسباب التقديم والتأخير والذكر والحذف وإيثار لفظ على لفظ وتعبير على آخر فيه.

٥ – مراجعة المواطن القرآنية التي ورد فيها اللفظ القرآني المراد تفسيره للوصول إلى معانيه واستعمالاته القرآنية.

٦ – مراجعة المواطن القرآنية التي ورد فيها أمثال التعبير القرآني المراد تبيينه للوصول إلى المعنى القرآني المقصود.

هذه هي أهم الخطوات التي أوجب الدكتور فاضل السامرائي على المفسر البياني الأخذ بها ومراعاتها. لقد كانت محاولة الدكتور فاضل السامرائي في التفسير البياني والتي مثّلها كتابه (على طريق التفسير البياني) من المحاولات الرائدة في هذا الميدان من التفسير. غير أن مما يؤخذ عليه في كتابه هذا عدم سعيه إلى إبراز الوحدةِ الموضوعيةِ في السورةِ القرآنيةِ على النحو الذي رأيناه عند سابقه سيد قطب في كتابه (الظلال). فقد كان الدكتور فاضل السامرائي حريصاً على إبرازِ خصائص النظم القرآني الفنية والبيانية أكثر من حرصه على إبراز الوحدة الموضوعية في السورةِ القرآنية، وما تنفرد به من خصائص فنيةٍ وبيانيةٍ عامة بوصفها وحدةً موضوعيةً مستقلةً بذاتها. وحتى نتبين جهود الدكتور فاضل السامرائي في هذا الميدان من التفسير، سنورد مثالاً من وقفاته البيانية في هذا الكتاب. ولنأخذ لذلك مثلاً تفسيره لاستعمال صيغتي (أكثر) و(كثير) في وصف حال أهل الكتاب في القرآن الكريم. فقد افترض عند تفسيره لآيةِ سورةِ الحديد: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: من الآية ٢٧]، أن سائلاً قد يسأل عن سبب ورود اللفظ (كثير) هنا بهذه الصيغة مع أنه قد ورد في مواضع أخرى من القرآن تصف حال أهل الكتاب أيضاً بصيغة اسم التفضيل (أكثر)؟ وقد أجاب الدكتور فاضل السامرائي عن هذا السؤال بعد أن تتبع المواضع التي وردت فيها كلتا الصيغتين في وصف حال أهل الكتاب بأن هذا مما يقتضيهِ سياق كل تعبير، فالقرآن الكريم يعبر باللفظ (أكثر) عندما يكون في السياق تعدادٌ لأسوأ صفاتِ أهل الكتاب وإطالة في ذكرها، في حين إنه يعبر باللفظ (كثير) عندما يكون السياق بخلاف ذلك[١٧٧]. ومثل هذه المقارناتِ البيانيةِ والأسلوبيةِ حفل بها كتاب الدكتور فاضل السامرائي في التفسير البياني. ولعل من المنصِف في هذا المقام القول إن هناك علماءَ وباحثين آخرين قدموا جهوداً قيمة في هذا الميدان من التفسير في هذا العصر، إلا أن المقام لا يتسع لذكرهم جميعاً.

لقد كشفت تلك الرحلةُ الطويلةُ للتفسير البياني الممتدة من فجر المبعث حتى عصرنا الحاضر عن وجود تيارين اثنين أسهما في تطور مفهوم التفسير البياني وتطبيقاته، وهذان التياران هما تيار

اللغويين من ذوي الفصاحةِ والبيان وتيار المتكلمين من ذوي الجدل والحجاج، نقول تياران اثنان مع علمنا بما بين التيارين من تداخل وترابط ، إذ من المعلوم أنَّ غالبية المتكلمين هم من اللغويين أصلاً ممن اتخذوا من علم الكلام سبيلاً للدفاع عن عقيدتهم والرد على المطاعن الموجهةِ ضد الدين الإسلامي. وقد مثل التفسير البياني نقطة التقاءٍ بين هذين التيارين بما يهدف إليه من الكشف عن إعجاز القرآن الكريم وبلاغته. فقد كانت معرفة إعجاز القرآن الكريم الغاية المرجوة من كل الدراساتِ البيانيةِ التي نتجت من جهود المنتمين لهذين التيارين عبر تلك المسيرةِ الطويلة.

الهوامش

(١) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تح: محمد أبو الفضل: ١٣/١.

(٢) ينظر: قضايا اللغة في كتب التفسير، الهادي الجطلاوي: ٤٨٦.

(٣) ينظر: م. ن: ٨٨.

(٤) الإعجاز البياني للقرآن الكريم، جمال الدين الفاروقي، مجلة الوعي الإسلامي، ع ٥٧٩، س ٢٠١٣: ٤٩.

(٥) ينظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتاح الخالدي: ٥.

(٦) م. ن: ٥.

(٧) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمن: ٨٢/١.

(٨) من العلماء الذين ذهبوا هذا المذهب في الإعجاز – على سبيل المثال لا الحصر – إبراهيم بن سيار النظام (ت٢٢١هـ) من المعتزلة والشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ) من الامامية. للمزيد ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، تح: عبد الحميد الهنداوي: ٢١٨/٣.

(٩) بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الخطابي، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول النجار: ٣٤.

(١٠) القرآن وقضايا الإنسان، عائشة عبد الرحمن: ٣٠٥.

(١١) ينظر: خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، محمد رجب البيومي: ٩ – ١٠.

(١٢) ينظر: قضايا اللغة في كتب التفسير: ٤٢– ٤٣.

(١٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تح: محمود محمد شاكر و أحمد محمد شاكر: ٤٩٥/١١ – ٤٩٦.

(١٤) ينظر: م. ن: ١٥٤/٢٣.

(١٥) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ٢٣٦/٤.

(١٦) من العلماء الذين ذكروا تلك المسائل: جلال الدين السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن.

كما ذكرتها الدكتورة عائشة عبد الرحمن في الجزء الثاني من كتابها الإعجاز البياني للقرآن ومسائل

ابن الأزرق.

(١٧) ينظر: قضايا اللغة في كتب التفسير: ٥٦.

(١٨) ينظر: خطوات التفسير البياني: ٤٢.

(١٩) ينظر: التحقيق لكتاب مجاز القرآن، لأبي عبيدة، تح: محمد فؤاد سَزْكين: ١٩.

(٢٠) مجاز القرآن: ١/ ١٨ – ١٩.

(٢١) التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، وليد قصاب: ٢٣٥.

(٢٢) ينظر: مقدمة التحقيق لكتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف الرضي، تح: محمد

عبد الغني حسين: ٦.

(٢٣) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، تح: مصطفى عبد القادر عطا: ١٣/ ٢٥٤ – ٢٥٥.

(٢٤) ينظر: مقدمة التحقيق لكتاب مجاز القرآن: ١٧.

(٢٥) مجاز القرآن: ١/ ٦٣ – ٦٤.

(٢٦) خطوات التفسير البياني: ٤٧.

(٢٧) ينظر: إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، حفني محمد شرف: ٢٠.

(٢٨) ينظر: مناهج المفسرين، منيع بن عبد الحليم: ٢٣.

(٢٩) ينظر: م. ن: ٢٣.

(٣٠) معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، تح: أحمد النجاتي ومحمد النجار وعبد الفتاح الشلبي: ٣/٢٨٥.

(٣١) م. ن: ٣/١٧٧.

(٣٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن قتيبة، تح: السيد أحمد صقر: ٢٢ – ٢٣.

(٣٣) م. ن: ١٤٥ – ١٤٦.

(٣٤) م. ن: ٥٣٨.

(٣٥) ينظر: مقدمة التحقيق لكتاب معاني القرآن، للكسائي، تح: عيسى شحاته عيسى: ١ – ٢.

(٣٦) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي: ٢٥٦.

(٣٧) ينظر: التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة: ٣٢٥.

(٣٨) ينظر: خطوات التفسير البياني: ٦٧.

(٣٩) الحيوان، أبو عثمان الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون: ٤/٩٠.

(٤٠) ينظر: إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق: ٢٦ وخطوات التفسير البياني: ٧٧.

(٤١) الحيوان: ٥/٢٥.

(٤٢) البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ، تح: عبد السلام هارون: ١/٢٠.

(٤٣) ينظر: التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة: ٣١.

(٤٤) المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم – بنت الشاطئ نموذجاً –، باب العياط نور الدين، رسالة ماجستير: ٤٥.

(٤٥) ينظر: النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، أبو الحسن الرماني، تح: محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول النجار: ٩٤ – ٩٦ والتراث النقدي والبلاغي للمعتزلة: ٣٣١.

(٤٦) م. ن: ٨٢ – ٨٣.

(٤٧) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، عبد الله محمد الجيوسي: ٢١.

(٤٨) النكت في إعجاز القرآن: ٧٥ – ٧٦.

(٤٩) ينظر: خطوات التفسير البياني: ١٣٣ و إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس و سناء فضل عباس: ٥١.

* وهذا هو المثلث الذي شغل الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) من أوله إلى آخره كما سنرى لاحقاً.

(٥٠) بيان إعجاز القرآن: ٢٧.

(٥١) م. ن: ٣٥.

(٥٢) ينظر: بيان إعجاز القرآن: ٧٠ وإعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق: ٥٧ – ٥٨ والتعبير القرآني والدلالة النفسية: ٢١.

(٥٣) ينظر: بيان إعجاز القرآن: ٤٥.

(٥٤) ينظر: إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تح: السيد أحمد صقر: ٣٣ – ٣٥.

(٥٥) ينظر: أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري، مجلة الجامعة الإسلامية، ع ٣، س ١٩٧٦: ١٨.

(٥٦) إعجاز القرآن: ١٩٧ – ١٩٨.

(٥٧) ينظر: خطوات التفسير البياني: ١٤٥.

(٥٨) ينظر: إعجاز القرآن: ٢٤٤ – ٢٤٥ والتعبير القرآني والدلالة النفسية: ٢١.

(٥٩) بيان إعجاز القرآن: ٢٧.

(٦٠) ينظر: التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة: ٣٢٨.

(٦١) المغني في أبواب التوحيد والعدل، عبد الجبار الهمذاني، تح: أمين الخولي: ١٦/ ١٩٩.

(٦٢) ينظر: إعجاز القرآن الكريم: ٦٢.

(٦٣) ينظر: التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة: ١٨٣.

(٦٤) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر: ٣٩١.

(٦٥) م. ن: ٣٧٠.

(٦٦) ينظر: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، أحمد مطلوب: ٥٦.

(٦٧) ينظر: المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم – بنت الشاطئ نموذجاً – : ٤٨.

(٦٨) ينظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: ١/ ١٢٤.

(٦٩) دلائل الإعجاز: ٢٨٦.

(٧٠) م. ن: ٢٨٧.

(٧١) ينظر: م. ن: ٤٦ والتعبير القرآني والدلالة النفسية: ٢٢.

(٧٢) ينظر: مقدمة التحقيق لكتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ١٨.

(٧٣) ينظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر: ١١٥.

(٧٤) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني: ١١.

(٧٥) م. ن: ١٢.

(٧٦) الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو

الفضل إبراهيم: ١.

(٧٧) ينظر: مقدمة التحقيق لكتاب: الصناعتين: ج.

(٧٨) الصناعتين: ٢٧٥.

(٧٩) ينظر: مقدمة التحقيق لكتاب تلخيص البيان في مجازات القرآن: ٦٠.

(٨٠) تلخيص البيان في مجازات القرآن: ١١٩.

(٨١) ينظر: خطوات التفسير البياني: ١٨٤ – ١٨٥.

(٨٢) ينظر: التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة: ٢٢٤ – ٢٢٥.

(٨٣) ينظر: مقدمة التحقيق لكتاب أمالي المرتضى (غُرر الفوائد ودُرر القلائد)، للشريف المرتضى،

تح: محمد أبو الفضل إبراهيم: ١٨/١.

(٨٤) ينظر: التفسير والمفسرون، محمد الذهبي:٢٩٣/١.

(٨٥) ينظر: مقدمة التحقيق لكتاب أمالي المرتضى: ١٨/١.

(٨٦) ينظر: أمالي المرتضى: ٣٥١/١ – ٣٥٣.

(٨٧) ينظر: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده: ٣١٠.

(٨٨) ينظر: الإعجاز البياني للقرآن الكريم: ١٢٩/١ – ١٣٠ وخطوات التفسير البياني:

٢٦٠.

(٨٩) مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تح: نعيم زرزور: ٤١٦.

(٩٠) ينظر: م. ن: ٤١٧ – ٤٢١.

(٩١) ينظر: بديع القرآن، زكي الدين بن أبي الإصبع المصري، تح: حفني محمد شرف: ١٤.

(٩٢) ينظر: م. ن: ٢٣.

(٩٣) م. ن: ٣٠٥ – ٣٠٦.

(٩٤) ينظر: مقدمة التحقيق لكتاب: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز:١/ ٣ـ٤.

(٩٥) ينظر: الطراز: ٣/ ٢٢٤.

(٩٦) م. ن: ٣٧/٢.

(٩٧) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي: ٢٦.

(٩٨) ينظر: م. ن: ٢١١.

(٩٩) م. ن: ٢٣١.

(١٠٠) إعجاز القرآن الكريم: ٩٤.

(١٠١) ينظر: م. ن: ١٠١.

(١٠٢) ينظر: التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة: ٣٣٠.

(١٠٣) الكشاف، جار الله الزمخشري، تح: عادل عبد الموجود وعلي معوّض وفتحي حجازي: ٩٦/١.

(١٠٤) ينظر: التفسير والمفسرون: ٣١٣/١.

(١٠٥) ينظر: قضايا اللغة في كتب التفسير: ١٥٣ – ١٥٤.

(١٠٦) م. ن: ١٥٥.

(١٠٧) ينظر: الكشاف: ٢٣٢/١ ومناهج تجديد: ٣١٦ وخطوات التفسير البياني: ٢٥١.

(١٠٨) ينظر: التفسير والمفسرون: ٣١٥/١.

(١٠٩) الكشاف: ٢٣٥/٣.

(١١٠) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، تح: عبد القادر أحمد
عطا: ١٣/١.

(١١١) ينظر: التفسير والمفسرون: ٢٤٧/١.

(١١٢) تفسير أبي السعود: ١٣٧/٣.

(١١٣) ينظر: إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق: ١٩٥ – ١٩٦.

(١١٤) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي، تح: علي عبد الباري
عطية: ٣٢/١.

(١١٥) ينظر: جهود الآلوسي البلاغية من خلال كتابه روح المعاني ، صالح إبراهيم مضوي محمد ،
أطروحة دكتوراه: ٨.

(١١٦) روح المعاني: ٢٤/٧.

(١١٧) ينظر: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تح: محمد عمارة: ٢٥١/١.

(١١٨) تفسير جزء عم، محمد عبده: ٢.

(١١٩) الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده: ١٠/٤ – ١١.

(١٢٠) ينظر: م. ن: ١١/٤.

(١٢١) ينظر: م. ن: ٤٤٩/٣.

(١٢٢) ينظر: م. ن: ١٥/٤.

(١٢٣) ينظر: م. ن: ٧/٤.

(١٢٤) ينظر: خطوات التفسير البياني: ٢٩١.

(١٢٥) ينظر: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده: ٣٢٤/٤.

(١٢٦) م. ن: ٣٢٥/٤.

(١٢٧) ينظر: خطوات التفسير البياني: ٢٩٧.

(١٢٨) ينظر: المنهج الحركي في ظلال القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي: ٣٧٩.

(١٢٩) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ٢١١.

(١٣٠) ينظر: النبأ العظيم ــ نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز: ١٣٣ ــ ١٣٧.

(١٣١) ينظر: م. ن: ١٤٢.

(١٣٢) م. ن: ١٦٢.

(١٣٣) م. ن: ١٨٦.

(١٣٤) م. ن: ١٦٢ ــ ١٦٤.

(١٣٥) ينظر: م. ن: ١٦٣.

(١٣٦) م. ن: ١٨٨.

(١٣٧) ينظر: م. ن: ١٩١ ــ ٢٨٣.

(١٣٨) م. ن: ١٦٥ ــ ١٦٦.

(١٣٩) م. ن: م. ن: ١٦٦.

(١٤٠) م. ن: ١٦٧ ــ ١٦٨.

(١٤١) المنهج الحركي في ظلال القرآن: ١٥٢.

(١٤٢) في ظلال القرآن، سيد قطب: ١٢٤٣/٣.

(١٤٣) ينظر: مدخل إلى ظلال القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي: ٤٢.

(١٤٤) ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب: ٩.

(١٤٥) م. ن: ٣٦.

(١٤٦) ينظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني: ٣٣٨.

(١٤٧) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية: ٢٢٩.

(١٤٨) ينظر: في ظلال القرآن: ١٧٨٥/٣.

(١٤٩) ينظر: المنهج الحركي في ظلال القرآن: ٤١٧ و اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي: ١٠٤٩/٣.

(١٥٠) في ظلال القرآن: ٨٥٩/٢.

(١٥١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٠٤/١.

(١٥٢) م. ن: ١٩/١.

(١٥٣) ينظر: م. ن: ٨/١.

(١٥٤) ينظر: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق الطرهوني: ٧٣٨.

(١٥٥) التحرير والتنوير: ٤٩/٢٣.

(١٥٦) ينظر: م. ن: ٨/١.

(١٥٧) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن: ٢٢٢/١.

(١٥٨) ينظر: مناهج تجديد: ٣٠٥ و اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: ٨٦٢/٣.

(١٥٩) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: ١٠/١.

(١٦٠) ينظر: مناهج تجديد: ٣٠٦.

(١٦١) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: ١٠/١.

(١٦٢) ينظر: مناهج تجديد: ٣١٢ – ٣١٤.

(١٦٣) ينظر: م. ن: ٣١٤ – ٣١٥.

(١٦٤) ينظر: م. ن: ٣١٥ – ٣١٦.

(١٦٥) ينظر: م. ن: ٣٠٥.

(١٦٦) ينظر: النبأ العظيم: ١٨٨.

(١٦٧) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: ٨٨٦/٣ – ٨٨٧.

(١٦٨) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: ١٨/١.

(١٦٩) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: ٩٥٦/٣.

(١٧٠) في ظلال القرآن: ١٤٢٩/٣.

(١٧١) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم: ١٩٨/١ – ١٩٩.

(١٧٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥٨٠/٢٤ و التفسير البياني للقرآن الكريم: ١٩٩/١.

(١٧٣) التفسير البياني للقرآن الكريم: ٢٠٠/١.

(١٧٤) على طريق التفسير البياني، فاضل صالح السامرائي: ٧/١.

(١٧٥) م. ن: ٧/١.

(١٧٦) ينظر: م. ن: ٧ – ١٢.

(١٧٧) ينظر: م. ن: ٢٦٩/١ – ٢٧٠.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أبو بكر الباقلاني ومفهومه للإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ع٣، س١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م.

٢. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٣. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م، (د. ط).

٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي (ت٩٨٢هـ)، تح: عبد القادر أحمد عطا، (د. ت. ط).

٥. أسرار البلاغة، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تح: أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ودار المدني، جدة، ١٩٩١م، (د. ط).

٦. الإعجاز البياني للقرآن الكريم، د. جمال الدين الفاروقي، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، ع٥٧٩، س١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

٧. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د. عائشة عبد الرحمن (ت١٤١٩هـ)، دار المعارف، القاهرة، (د.ت.ط).

٨. إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣)، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط٥، مصر، ١٩٩٧.

٩. إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، د. حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م، (د. ط).

١٠. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدَرِه الرَّباني، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار للنشر والتوزيع، ط١، عمان، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

١١. إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس (ت١٤٣٢هـ) وسناء فضل عباس، ١٩٩١م، (د. ط. م).

١٢. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦ه)، دار الكتاب العربي، ط٩، بيروت ــ لبنان، ١٣٩٣ه ــ ١٩٧٣م.

١٣. الأعمال الكاملة للشيخ الإمام محمد عبده (ت١٣٢٣هـ)، تح: د. محمد عمارة، دار الشروق، ط١، بيروت – القاهرة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

١٤. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، علي بن الحسين الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الدكتور مروان العطية، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٧٣هـ – ١٩٤٥م.

١٥. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د. ت. ط).

١٦. بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، تح: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت. ط).

١٧. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

١٨. بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، أبو سليمان حمد بن إبراهيم الخطابي (ت٣٨٨هـ)، تح: محمد خلف الله أحمد و د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط٣، مصر – القاهرة، ١٩٧٦م.

١٩. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع – مطبعة المدني، ط٧، القاهرة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٢٠. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ.

٢١. تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تح: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، ط٢، القاهرة، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

٢٢. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤، (د. ط).

٢٣. التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، د. وليد قصاب، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، (د. ط).

٢٤. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب(ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق، ط١٧، (د. ت).

٢٥. التعبير القرآني والدلالة النفسية، د. عبد الله محمد الجيوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط١، دمشق، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م.

٢٦. التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن (ت١٤١٩هـ)، دار المعارف، (د. ت. ط).

٢٧. تفسير جزء عم، محمد عبده (ت١٣٢٣هـ)، الجمعية الخيرية الإسلامية، مطبعة مصر– شركة مساهمة مصرية، ط٣، ١٣٤١هـ.

٢٨. التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي (ت١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، (د. ت. ط).

٢٩. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق الطرهوني، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٦هـ.

٣٠. تلخيص البيان عن مجازات القرآن، محمد بن الحسين الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ)، تح: محمد عبد الغني حسن، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، (د. ط).

٣١. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٣٢. جهود الآلوسي البلاغية من خلال كتابه روح المعاني، صالح إبراهيم مضوي محمد، اطروحة دكتوراه بإشراف الدكتور محمد الحسن علي الأمين، كلية الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩م.

٣٣. الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، مصر، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م.

٣٤. خطوات التفسير البياني، محمد رجب البيومي، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م، (د. ط).

٣٥. دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تح: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط٥، القاهرة، ٢٠٠٤.

٣٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ.

٣٧. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٥هـ)، تح: عبد الحميد بن أحمد الهنداوي، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٣٨. عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، ط١، بيروت، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

٣٩. على طريق التفسير البياني، د. فاضل صالح السامرائي، النشر العلمي، الشارقة – الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٥م، (د. ط).

٤٠. في ظلال القرآن، سيد قطب(ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق، ط١٧، بيروت – القاهرة، ١٤١٢هـ.

٤١. القرآن وقضايا الإنسان، د. عائشة عبد الرحمن (ت١٤١٩هـ)، دار المعارف، القاهرة، (د. ت. ط).

٤٢. قضايا اللغة في كتب التفسير، د. الهادي الجطلاوي، دار محمد علي الحامي للناشر والتوزيع، ط١، صفاقس، ١٩٩٨م.

٤٣. كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن العسكري (ت٣٩٥هـ)، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م.

٤٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخران، مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٤٥. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ)، تح: د. محمد فؤاد سَزْكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٤م، (د. ط).

٤٦. مدخل إلى ظلال القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، ط٢، الأردن – عمان، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٤٧. معاني القرآن، أبو زكريا الفراء (ت٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي وآخران، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط١، مصر، (د.ت).

٤٨. معاني القرآن، علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ)، تح: د. عيسى شحاته عيسى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م، (د. ط).

٤٩. المغني في أبواب التوحيد والعدل، الجزء السادس عشر(إعجاز القرآن)، القاضي أبو الحسن عبد الجبار

الأسدآبادي (ت٤١٥هـ)، تح: أمين الخولي، دار الكتب، ط١، القاهرة، ١٣٨٠ – ١٩٦٠م.

٥٠. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف السكاكي (ت٦٢٦هـ)، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٥١. مناهج المفسرين، منيع بن عبد الحليم محمود (ت ١٤٣٠هـ)، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، القاهرة – بيروت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، (د. ط).

٥٢. مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، أمين الخولي، دار المعرفة، ط١، ١٩٦١م.

٥٣. المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم – بنت الشاطئ نموذجاً –، باب العياط نور الدين، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور الجيلاني سلطاني، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧م.

٥٤. المنهج الحركي في ظلال القرآن، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، ط٢، الأردن – عمان، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٥٥. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (ت١٣٧٧هـ)، تح: أحمد مصطفى فضيلة، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، (د. ط).

٥٦. النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، علي بن عيسى الرماني (ت٣٨٠هـ)، تح: محمد خلف الله أحمد ود. محمد زغلول النجار، دار المعارف، ط٣، مصر – القاهرة، ١٩٧٦م.